الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشّعبية

PEOPLE'S DEMOCRATIC REPUBLIC OF ALGERIA

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

MINISTRY OF HIGHER EDUCATION AND SCIENTIFIC RESEARCH

UNIVERSITY OF BLIDA 2 LOUNICI ALI

ACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCE

AMIR KHALED ALDJAZAIRI

Department of History and Library Science

جامـــعة البليـــــدة 2 لونيسي علـــي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

الأمير خالد الجزائري

قسم التاريخ وعلم المكتبات

مطبوعـــــة الدروس المقررة للسنة ثالثة ليسانس تاريخ عام

مادة: تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء

إعداد الأستاذ: د. بوسليماني عبد الرحمان

السنة الجامعية:2024/2023

التعريف بالمادة التعليمية

كليـــة	**العلوم الإنسانية و الاجتماعية/جامعة البليدة2 لونيسي علي**
قســم	التاريخ وعلم المكتبات
مستوى	السنة الثالثة
تخصص/ ميدان / شعبة	تاريخ عام
السداسي	الخامس

التعرف على المادة التعليمية

اسم المـــادة	**تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء**
وحدة التعليم	استكشافية
عدد الأرصدة	02
طبيعة التدريس	محاضرة
المعامل	01
الحجم الساعي الأسبوعي	1:30

أستاذ (ة) المادة التعليمية

الاسم و اللقب	**بوسليماني عبد الرحمان**
الرتبة	أستاذ محاضر "أ"
البريد الالكتروني	a.bousslimani@univ-blida2.dz
رقم الهاتف	0556369002

وصف المادة التعليمية

المكتسبات	يتعرف الطالب على ملامح تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء بصفة عامة
	يفهم الطالب العوامل المحركة للتاريخ الإفريقي ويستنتج مراحل القوة والضعف خلال تلك الفترة
الهدف العام للمادة التعليمية	الاطلاع على طرق ومناهج التدريس الخاصة بالتاريخ الإفريقي
	إبراز العوامل المؤثرة في تاريخ تلك الفترة التاريخية
	يشرح الطالب ويقارن ما بين مراحل القوة والضعف خلال تلك الفترة التاريخية
	إبراز دور الإسلام في نشر الثقافة العربية الإسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء
	يتعرف الطالب على تطور العلاقات العربية الإفريقية
أهداف التعلم (المهارات المراد الوصول إليها)	يميز الطالب ما بين الأثر العربي الإسلامي في إفريقيا جنوب الصحراء والأثر الأوروبي الاستعماري.

	يحلل أسباب القوة والضعف للحضارات الإفريقية جنوب الصحراء
	يقيم مرحلة العلاقات الجزائرية الإفريقية في فترة التاريخ الوسيط والحديث
	يتعرف على جرائم الاستعمار الأوروبي الخاصة بتجارة الرقيق
	يدرك أهمية منطقة الساحل الإفريقي للأمن القومي الجزائري.

محتوى المادة التعليمية

المحـــور الأول(3 محاضرات)	المجال الجغرافي والبشري لإفريقيا جنوب الصحراء و أقسامها
المحور الثاني(3 محاضرات)	انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء.
المحور الثالث(3 محاضرات)	ممالك السودان الغربي(غانة، التكرور، سنغاي، مالي)
المحور الرابع(محاضرتان)	ممالك السودان الأوسط(كانم-بورنو، ممالك الهوسا)
المحور الخامس (3 محضرات)	ممالك السودان الشرقي(سلطنة زنجبار الإسلامية)

مقدمة:

من الملفت للانتباه أننا لو ألقينا نظرة خاطفة على المصادر والمراجع الخاصة بتاريخ إفريقيا جنوب الصحراء في المكتبات، للاحظنا أن هناك نقصا فادحا في المؤلفات التي تعالج مواضيع خاصة بالقارة السمراء، والجدير بالذكر أن الكثير من الوثائق الخاصة بتاريخ إفريقيا لم تحظ بعناية وافية في مجال البحث مما جعل إفريقيا تحتاج إلى مؤرخيها من أجل إنقاذ المصادر، وبالتالي استعمالها في مجال الدراسة إذا كانت لا تريد أن يبقى ماضيها مجهولا أو محتكرا على المؤرخين الأوروبيين ومثقفتهم.

وتتباين المؤسسات السياسية تباينا واضحا في أنحاء القارة الإفريقية جنوب الصحراء الكبرى، فقد نشأت وتطورت دول مفردة ومركبة خلال فترة طويلة على سواحل القرن الإفريقي وفي وادي النيل، وفي نطاق السافانا. أما في غرب إفريقيا فقد كان هناك تباينا واضحا بين المنظمات السياسية المفككة عند قبائل الأيبو Ibos وممالك اليوربا المركزية التي كان يحكمها الأوبا Oba وبين القبائل الوثنية المبعثرة في النطاق الأوسط. وفي شرق إفريقيا كان هناك عديد من أنماط التنظيم السياسي، فالنيلوتيون لديهم شكل لا مركزي من الكيان السياسي بينما نجد أنه بين مجتمع بانتو البحيرات تطور نظام متقدم تحت تأثير الغزوات الحامية.

وفي جنوب إفريقيا كان النظام السياسي مركزيا جدا، وذلك عن طريق زعيم أكبر يسيطر على عدد من الجماعات المحلية، وشكل هذا النظام قبائل الزولو. وقد كانت التخوم ذات أهمية كبيرة بالنسبة للقبائل الإفريقية قبل مرحلة الاستعمار، إذ أنه بين الجماعات التي تعتمد على الصيد والجمع مثل البوشمن كانت تتجول في منطقة محدودة جدا، وكان تعدي هذه الحدود صعبا. إلا أنه بعد إنشاء الدول الكبيرة في داخل النطاق السوداني أصبح من الممكن للرحالة –مثل المسعودي وابن بطوطة- أن يتجولوا في

مناطق واسعة عبر مثل هذه الحدود. وقد استطاع مكتشفو إفريقيا في القرن 19م أن يعبروا قارة إفريقيا ولكن عن طريق الإدلاء الوطنيين.

ولإنجاز هذه المطبوعة، توجب علينا الرجوع إلى مصادر ومراجع كثيرة ومتنوعة لتغطية جوانبها المتعددة. ولعل مراجعة قائمة الببليوغرافيا في هذه المطبوعة تشهد بوضوح على تنوعها. فمنها المصادر العربية المكتوبة والمصادر الأجنبية وكذا أرشيف الصحف والمجلات التي تضم الكثير من التقارير، المراسلات والوثائق الرسمية والدراسات الحديثة التي تناولت جميع جوانب تاريخ القارة السمراء جنوب الصحراء الكبرى.

والجدير بالذكر أننا بذلنا جهدا كبيرا في جمع كل المصادر والمراجع التي يمكن أن تكون لها علاقة بعملنا، وتوقفنا طويلا عند أهم المصادر الأولية والكتابات التي تناولت سائر جزئيات الموضوع، واطّلعنا على كمية هائلة منها، إذ أصبح اليوم من الممكن الاطلاع عليها ، وذلك عبر مواقع الانترنت التي صارت اليوم تقدم للباحثين والمؤرخين وثائق متنوعة ذات طابع سياسي، دبلوماسي وسوسيو-اقتصادي، لم تكن متوفرة إبّان الفترات السابقة، كما استفدنا من التربصات العلمية القصيرة المدى في الخارج وتمكنا من جمع بعض الدراسات والمراجع الحديثة.

كل هذا دفعنا إلى تقديم هذا العمل الذي هو عبارة عن محاضرات تتناول الجوانب التاريخية والحضارية والثقافية والسياسية والسوسيو-اقتصادية والعسكرية والدبلوماسية. معتمدين على وثائق أصلية تجعل القارئ والطالب والمتخصص في شؤون الإفريقية، يشعر أنه أمام مادة متجددة.

والهدف من انجاز هذه المطبوعة المقررة لطلبة السنة ثالثة ليسانس تاريخ عام في مادة تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، هو من أجل تزويد الطلبة والأساتذة بمرجع يسد الثغرات ويكون دليلا علميا في أيدي المختصين، كما عمدنا إلى معالجة هذه المواضيع

ذات الأهمية والدلالات الكبيرة والتي ظلت مجهولة وغير معتنى بها في دراساتنا وأعمالنا الأكاديمية.

ومن هذا المنطلق، فإن الخطوات التحليلية في دراسة موضوع البحث، تتسم بالجمع بين منهجين: المنهج التاريخي، للتحكم في عملية جمع المعلومات عن الأحداث والوقائع التاريخية، وبلورتها من ناحية المصادر، وفي فهمها، والتأكد من صحتها، وفي عرضها، وتفسيرها، واستخلاص النتائج العامة منها، والتي لا تقف فائدتها عند فهم أحداث الماضي فحسب، بل تتعداه إلى المساعدة في تفسير الأحداث والمشاكل الجارية، وفي توجيه التخطيط بالنسبة للمستقبل .

والمنهج التحليلي، لنقد بعض الآراء وتحليلها، وتصحيح المفاهيم والأخطاء التي تنُم غالباً عن النظرة الأوروبية الضيّقة، حتى نصل إلى تكّوين صورة موضوعية عن تاريخ افريقيا جنوب الصحراء. وذلك بعد الفحص الدقيق للمصادر والمصادر المكتوبة والوثائق الحكومية، بالإضافة إلى الدراسات العلمية المتخصصة التي تستند إلى المنهج العلمي الدقيق.

المحور الأول: المجال الجغرافي والبشري لإفريقيا جنوب الصحراء و أقسامها:(3 محاضرات).

1- الجغرافيا التاريخية لإفريقيا جنوب الصحراء:

تطورت الجغرافيا التاريخية لإفريقيا جنوب الصحراء نتيجة لعوامل طبيعية وبشرية وذلك عبر فترات زمنية طويلة. ويعتبر انتشار الإسلام مع نهاية القرن السابع الميلادي وتجارة الرقيق والغزو الأوروبي الاستعماري أهم الأحداث المؤثرة في تطور الخريطة التاريخية للقارة السمراء.

والقارة الإفريقية قديمة جدا[1]، ويتضح هذا في الصفات الطبيعية التي تميزها عن سائر القارات الأخرى. وضخامتها وثقل آفاقها كان نتيجة لتاريخ جيولوجي طويل. ويكفي أن ننظر إلى الخريطة كي نلاحظ أن المجموعة الإفريقية تمتد على قطعة واحدة بمساحة تصل إلى 30 مليون كيلومتر مربع.

وتتأكد ضخامة منطقة إفريقيا جنوب الصحراء بثقل التضاريس التي تمثلها في الغالب هضاب تعلو نهايتها لتكوّن مرتفعات شاطئية تخترقها بصعوبة روافد الأنهار العملاقة. وتسود السهول والأحواض إفريقيا الغربية والجنوبية وحوض الكونغو. وأهم الأحواض المتجمعة في هذه المنطقة هي أحواض النيجر والتشاد والكونغو وبحر الغزال. ويمتد مجال الأراضي المرتفعة في إفريقيا الجنوبية والشرقية حيث تحتل المرتفعات التي تفوق 1500 متر مكانا فسيحا. تخترقها أنهارا عظمى كنهر الزمبيزي والكونغو والنيل والنيجر،[2] وسلسلة من البحيرات كبحيرة ملاوي وتنجانيقا[1] وكيفو [2]

1- يعود تاريخ ظهورها بكتلتها الحالية إلى حوالي 50 مليون سنة أنظر للمزيد من التفاصيل: ماكيفيدي(كولين):أطلس التاريخ الإفريقي، ترجمة مختار السويفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987.

2- توجد في إفريقيا أهم أنهار العالم وأكبرها، يقع معظمها في منطقة ما بين المدارين، حيث كان لها دورا حضاريا واقتصاديا كبيرا في تاريخ القارة، وكانت منفذا مهما لتوغل القوى الاستعمارية داخل القارة. أهمها نهر الكونغو، الذي كان أحد أهم النقاط الأساسية المدرجة في جدول أعمال مؤتمر برلين عام 1884، وهو نهر غزير منتظم حمله المتوسط 30000 م3/في الثانية. ونهر النيل الذي ينبع من رواندا وبورندي، وبعد اختراقه لبحيرة فيكتوريا تقويه الروافد المدارية الواردة من الجبال الإثيوبية، ونهر النيجر الذي يمتد حوضه من 5 درجات إلى 16 درجة من خط العرض الشمالي، وله نظام أكثر تشعبا وذلك أنه بعد أن يترك منبعه على حاشية المحيط الأطلسي الجبلية، يتجه نحو الصحراء، ثم يتوجه نحو خليج غينيا، حيث يصب في دلتا فسيح.

Kivu وبحيرة عيدي أمين(إدوارد سابقا) وموبوتو(ألبرت سابقا) وفيكتوريا[3] وبحيرة رودلف وبحيرة التشاد[4]. وتحيط بمعظمها جبال بركانية ضخمة أشهرها جبال كينيا والكيليمنجارو.

وتسبح الشواطئ البحرية لإفريقيا في كتلتين محيطيتين ضخمتين، المحيط الأطلسي الذي لم تخترقه السفن البحرية إلى غاية القرن 15 م انطلاقا من أوروبا. وخلافا للمحيط الأطلسي، فإن المحيط الهندي منذ عهد بعيد ساعد على التواصل بين شرق إفريقيا واسيا والخليج العربي. وامتدت هذه العلاقات لفترة زمنية طويلة على الساحل إذ كان هدف الشعوب العربية والأسيوية والهندية ممارسة التجارة وليس استعمار الأراضي الداخلية، وقد تفسر العوامل البشرية بلا شك قلة اهتمام سكان السواحل الإفريقية بالرحلات البحرية الكبرى.[5]

ويغلب على إفريقيا جنوب الصحراء بشكل عام المناخ الاستوائي وخاصة المناطق الوسطى من جهتي خط الاستواء. فمن جنوب الكاميرون إلى حوض الكونغو تتهاطل الأمطار بغزارة طوال السنة بمعدل درجة حرارة سنوي قدره 25 درجة مئوية.

1- يبلغ طولها 420 ميلا ومتوسط عرضها 30 ميلا، أما عمقها فيصل إلى 4.820 قدما كثاني أعمق بحيرة في العالم.

2- تقع في أقصى الشمال الشرقي لدولة تنزانيا، ويبلغ طولها حوالي 60 ميلا ومتوسط عرضها 30 ميلا، وترتفع على مستوى سطح البحر ب 4920 قدم، وتتغذى من بحيرة تنجانيقا عبر نهر روسيزي على مسافة 74 ميلا. أنظر

- Moffett, J.P: Handbook of Tanganyika, Government Printer, Dar Es Salam, 1958, pp: 3-4.

[3]- تعد أكبر بحيرة في إفريقيا بمساحة قدرها 27000 ميل مربع ومتوسط عمقها يصل إلى 59 قدما.

[4]-بحيرة التشاد الحالية هي بقايا بحر داخلي قديم، وتأتي مياهها من وديان وأنهار إفريقيا الوسطى. وهي تقع على ارتفاع يبلغ 280 متر، وتتراوح مساحتها بين 10000 و25000 كيلومتر مربع، أما معدل عمقها فهو يتراوح بين 3 و7 أمتار. وتعوض البحيرة المياه التي تفقدها تبخرا من وديان اللكون والشاري القادمين من الجنوب أساسا. وقد بلغت البحيرة مستواها الأقصى 10 آلاف سنة قبل الميلاد، واستمر ذلك المستوى حتى 4000 سنة قبل الميلاد. أنظر للمزيد من التفاصيل/ سعيد رشدي: الإطار الزمني للمراحل المطرية والجمودية بإفريقيا، تاريخ إفريقيا العام، الجزء(4)، مطبعة حسيب دورغام وأولاده، لبنان، 1998، ص ص: 377-379.

[5]- راجع للمزيد من التفاصيل/ د. دايارا: الجغرافيا التاريخية: المظاهر الطبيعية، تاريخ إفريقيا العام، الجزء(4)، مطبعة حسيب دورغام وأولاده، لبنان، 1998، ص 329 وما بعدها.

ويغطي المناخ المداري المساحة الفسيحة التي تحمل تنقلات الواجهة بين المدارين في شمال المنطقة الاستوائية وجوانبها. فمثلا على ساحل خليج غينيا يسود مناخ تحت الاستوائي يدعى الغيني ويتميز بنظام مطري بدون فصل جاف. والمجال السوداني الواقع في جهة الشمال يبدي عدة ملامح من مناخ منطقة ما بين المدارين، وهو قليل الأمطار شمالا.[1]

وعلى العموم، تسود منطقة جنوب خط الاستواء مناخ مداري كثير الأمطار على المحيط الهندي وجاف على الساحل الأطلسي حيث تتلاقى صحراء الكلاهاري مع مياه الأطلسي. وتتقبل الصحراء الإفريقية، وهي أكبر قفر حار في العالم أقل من 100 مم من الماء سنويا. في المقابل تغطي الغابة الكثيفة وسط القارة ما بين 5 درجات من خط العرض الشمالي و5 درجات من خط العرض الجنوبي من جهتي خط الاستواء. وأصناف الغابة الكثيفة كثيرة التنوع والتداخل مما يجعل استقلالها صعبا، حيث تقوى فيها المتسلقات والنباتات المعايشة في الظلمة والسافانا، حيث يساعد هذا الوسط على انتشار الجراثيم والديدان والحشرات ويستوعب عدد متنوعا من الحيوانات. وكلما اتجهنا شمالا أو جنوبا تخف الغابة المظلمة والكثيفة وتحف بها غابة جافة وسهوب شجرية تبدو فيها التربة عارية وخاصة في المناطق التي تقل فيها نسبة التساقط عن 200 ملم.[2]

ويحد إفريقيا جنوب الصحراء شمالا الصحراء الكبرى ومن الغرب المحيط الأطلسي ومن الشرق المحيط الهندي والبحر الأحمر.

وكان العرب المسلمون هم أول من اكتشف هذه المناطق وأطلقوا عليها تسمية السودان في الإشارة إلى الشعوب والقبائل التي تقطن هذا الجزء من القارة السمراء والتي يمكن تقسيمها حسب المصادر العربية إلى ثلاثة أقسام رئيسية وهي:

---

[1]- المرجع نفسه

[2]- د. دايارا: مرجع سابق، ص 341 وما بعدها.

أ- السودان الغربي: ويشمل جغرافيا حوض نهر السنغال والمناطق المحيطة به، فولتا العليا وحوض النيجر الأوسط (نيجيريا) ومنطقة السينيغامبيا وخليج غينيا. أما السودان الغربي بمفهومه المعاصر حاليا، فيشمل الدول التالية: موريتانيا، الصحراء الغربية، مالي، السنغال، غامبيا، غينيا بيساو، غينيا كوناكري، سيراليون، ليبيريا، ساحل العاج، بوركينافاسو، طوغو، بينين، غانا، نيجيريا، الكاميرون، جزر الرأس الأخضر(كاب فردي).

ب- السودان الأوسط: ويشمل حوض بحيرة تشاد[1] والمناطق المحيطة بها في إفريقيا الوسطى. ويشمل حاليا الدول التالية: التشاد، الغابون، إفريقيا الوسطى، غينيا الاستوائية.

ج- بلاد الزنج: وتشمل مناطق واد النيل وروافده العليا جنوب بلاد النوبة، حوض بحر الغزال وكردفان ومنطقة سيا المجاورة لدارفور والسودان النيلي والقرن الإفريقي والساحل الشرقي وجزر المحيط الهندي. ويشمل حاليا الدول التالية: السودان، دولة جنوب السودان، إثيوبيا، الصومال، جيبوتي، اريتريا، أوغندا، كينيا، تنزانيا، جزر القمر، رواندا وبورندي والمزمبيق.

تجدر الإشارة أن مناطق إفريقيا الجنوبية وحوض الكونغو ومنه جنوبا إلى أنغولا وناميبيا لم تشر إليها المصادر العربية في فترة العصر الوسيط. واكتفى المسعودي مثلا في كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر الإشارة إلى المنطقة الفاصلة بين تنزانيا والموزمبيق حاليا وهي سوفالا (الأرض السفلى كما وصفها) وعلاقتها التجارية بالمناطق الداخلية وخاصة مملكة المونوموتابا القديمة التي تقع أثارها حاليا في زمبابوي. وعليه، ومن ناحية الجغرافيا السياسية المعاصرة تدخل كذلك في نطاق منطقة إفريقيا جنوب الصحراء

[1]- بحيرة تشاد عبارة عن منخفض طبيعي بفعل انحدار نهري شاري ولوغون القادمين من جمهورية إفريقيا الوسطى المجاورة فضلا عن انسياب مياه الأمطار إليها من الهضاب المجاورة، وتشكل بحيرة تشاد حاليا نقطة التقاء الحدود التشادية مع النيجر ونيجيريا والكامرون.

الدول التالية: الكونغو الديمقراطية-برازفيل (الزائير سابقا)، جمهورية الكونغو كينشاسا، زمبابوي، أنغولا، بوتسوانا، ناميبيا، جنوب إفريقيا، مدغشقر، ملاوي، زامبيا.

2- المجال البشري وأقسامه:

إن الشواهد على تطور الإنسان بإفريقيا ما زالت غير مكتملة، إلا أننا نرى أن عدد كبيرا من الاحفورات قد تمت دراستها وتم تأويلها في القرن الأخير، إذ توجد أدلة علمية قوية تفيد أن إفريقيا هي القارة التي ظهر بها البشر لأول مرة، حيث اكتسبوا تقنية المشي على الرجلين والاستقامة العمودية اللذين يمثلان عنصرين قاطعين لتمام تكيفه.

ويسكن في إفريقيا جنوب الصحراء شعوب وقبائل زنجية اختلطت دماؤها عبر التاريخ بدماء الساميين والحاميين الذين وفدوا على المنطقة من الشمال. ويقسم علماء الانثربولوجيا الساميين إلى ثلاث مجموعات: السامية، البربرية والكوشيتيكية Couchitique نسبة إلى كوشKush . أما الحاميون فقد أثروا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة تأثيرا عميقا على جيرانهم السود في عموم افريقيا جنوب الصحراء.

وحسب الباحث الفرنسي ستيفان غزيل Stéphane Gsel ، بأنه حتى نهاية الامبراطورية الرومانية كانت تعيش جماعات صغيرة موزعة على طول الصحراء ومفصولة عن الجماعات البيضاء. حيث يقطن طرف الصحراء الجنوبي قبائل أمازيغية بيضاء، وكثيرا ما يطلقون على هذه المنطقة بأفريقيا البيضاء وذلك للتفرقة عن المنطقة الافريقية التي تشمل جنوب الصحراء الكبرى والتي تسمى بإفريقيا السوداء، وأما الحدود بينهما فهي تسير على خط ينطلق من السنغال ويمر بمصب نهر النيجر والتشاد ثم يدور حول الهضبة الاثيوبية من جهة الغرب حتى يصل الى المحيط الهندي.[1]

[1]- دنيس بولم: الحضارات الإفريقية، ترجمة علي شاهين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1974.

ويعتبر غرب إفريقيا خزانا للجنس الزنجي الأصيل الذي حافظ على أصله خاصة في المنطقة المحصورة بين مصب نهر السنغال غربا وحدود نيجيريا الشرقية شرقا والصحراء الكبرى شمالا وخليج غينيا جنوبا.

ونلاحظ أن الولوف ouolof[1] يتمركزون جنوب نهر السنغال ولغتهم هي لغة وطنية في السنغال إذ يتكلمها 80 في المائة من مجموع سكان السنغال. وفي منطقة السنغال وغامبيا توجد مجموعة السرير أيضا وهذا بالقرب من العاصمة داكار. أما تكرور ، فيتمركزون في حوض نهر السنغال الأوسط ، وساهم التكرور في نشر الإسلام بين أفراد الولوف والسوننكا[2].

أما في مالي، نجد البمبارا الذين يشكلون ثلث سكان البلاد، بالإضافة إلى المالنكي والسينوفو، الطوارق والسونغي. والمالنكي ينحدرون من أصل ماندي أو ماندانغ (نسبة إلى جبال الماندانغ في مالي)، وكانوا يعرفون عند قبائل المنطقة الاستوائية بعبارة ديولا والتي تعني في لغة المالنكة "تاجر".[3]

أما السينوفو، فهم شعب يتمركز بمالي وساحل العاج خاصة في المنطقة المعروفة بكرهوغو. والسينوفو من أقدم القبائل التي اشتهرت بالصناعة التقليدية لاسيما النقش على الخشب وصناعة الحلي.

---

[1]- ويطلق عليهم أيضا اسم الجولوف Jolofs وهم سلالة سوداء تسكن حاليا في السنغال.

[2]- تسمى قبائل السوننكة أيضا بالماركا أو "الوانغارا" وهي كلمة تطلق على قبائل المندان(الماندينغ) الذين يتعاطون التجارة.

[3]- يشمل شعب الماندينغ عدة جماعات فرعية متفرقة في غرب إفريقيا من المحيط الأطلسي إلى خليج البنين ونهر النيجر شمالا. وهم يتكونون من ثلاث قبائل كبرى هي: قبائل السوننكة مؤسسي إمبراطورية غانا ويقطنون المنطقة المحيطة بنهر النيجر. وقبائل الصوصو وعاصمتهم مدينة صوصو، والى الجنوب من هذه المنطقة تقع مواطن المالكنة وهي البلاد المسماة ببلاد الماندي بأعالي حوض النيجر. أنظر للمزيد من التفاصيل/ جبريل نياني: مالي والتوسع الثاني للماندينغ، تاريخ إفريقيا العام، الجزء(4)، مطبعة حسيب دورغام وأولاده، لبنان، 1998، ص 129.

أما فيما يعرف اليوم بنيجيريا، فنجد قبائل الهوسا والفولاني[1] يتمركزون في الشمال وأكثرهم اعتنق الإسلام بفضل دعوة الشيخ عثمان دا فوديو والشيخ المغيلي التلمساني. كما تمثل قبائل الهوسا[2] أكثر من نصف سكان النيجر، والفولاني نجدهم أيضا في النيجر التي تقطنها قبائل الكوناري والتيدا.

كما تتمركز بنيجيريا قبائل الإيبو Ibos في الجنوب الشرقي وجلهم يدينون بالدين المسيحي بفعل الإرساليات التبشيرية المسيحية. أما اليوروبا، فنجدهم في الجنوب الغربي من نيجيريا وبينين. أما بينين، فتتواجد بها قبائل إيزو ، سومبا و الدندي. أما في غينيا، فنجد المالكي، السوسو، الفولاني و كيسي. [3]

وإذا انتقلنا إلى فولتا العليا(بوركينافاسو ألان)، فنلاحظ تمركز قبائل الموسي، الفولاني، الماندي، البوبو، اللوبي، السينوفو، الغورمانشي والطوارق. وبالنسبة للطوغو، فتتواجد بها قبائل إبويه الذين يشكلون 45 في المائة من عدد السكان اليوم ، إضافة إلى غورمانستثيه وتام. أما غانا ، فنجد بها قبائل الأشانتي، الهوسا نزيما ، الموسي الأكانAkan. وقبائل الأكان التي هي أصلا من غانا، هاجرت مجموعة منها إلى ما يعرف اليوم بساحل العاج نذكر منها أبرون في بوندوكو وقبيلتي آنيي وباولي. وعلى العموم، فقد كان هناك تباينا واضحا بين المنظمات السياسية المفككة عند الإيبو وممالك

---

[1]-اختلف الباحثين في نسب قبائل الفولاني، فبسبب لون بشرتهم الفاتح وتقاليدهم وعاداتهم التي تختلف عن القبائل الإفريقية أرجعتهم بعض المصادر أنهم ظهروا نتيجة لاختلاطهم مع القبائل الامازيغية. وهم يعيشون في جماعات منفصلة عن بقية المجموعات الوثنية الأخرى وحرفتهم الأصلية هي الرعي. تحولوا إلى الإسلام في وقت مبكر، واستطاعوا أن يؤسسوا إمبراطوريات كبرى في غرب إفريقيا. راجع للمزيد / **محمد أمين بدين: الفلانة والفلانيون في السودان الأصل والتاريخ، د.ت، القاهرة، ص 23-24.**

[2]-تسكن قبائل الهوسا المنطقة التي تمتد ما بين هضبة جوس جنوبا وجبال العير شمالا وممالك التشاد القديمة شرقا و منعطفات نهر النيجر غربا. وأرض الهوسا نسبت إلى لغتها لغة الهوسا التي تتكلمها كل قبائل المنطقة وكان المنطقة استقرت فيها كذلك قبائل مثل الطوارق والزبرمة والفولاني. ولغة الهوسا هي اللغة السائدة حاليا في منطقة السودان الأوسط وتتكلمها قبائل كثيرة في منطقة شمال نيجيريا والكامرون والنيجر والتشاد. انظر للمزيد من التفاصيل/

-Nicolas, Guy: Fondements magico-religieux du pouvoir au sein de la principauté hausa du Gobir, **Journal de la Société des Africanistes, 1969, tome 39, fascicule 2**, p :202. pp.199-231.

[3]-Collis, Robert : Nigeria in conflit, Secker & Warburg, London, 1970, pp:85.

اليوروبا المركزية التي كان يحكمها الأوبا Oba وبين القبائل الوثنية المبعثرة في النطاق الاوسط، وتحالف شعوب الأكان (أي التي تتحث بلغة الأكان-غانا) الذين كونوا اتحاد الأشانتي.[1]

أما في ليبيريا، فنجد قبائل كيسي، فاي، كبل، غولا، غيو، الكرو[2]، الكراي، اللوبي. ومن بين قبائل الكرو التي هاجرت إلى ساحل العاج نذكر ماغوي أو بيتي التي تتمركز في المنطقة الواقعة بين دالوا وسوبري، والتي اشتهرت بأقنعتها عند ممارسة الطقوس الدينية. وفي ما يخص سيراليون، نجد قبائل تمني في شمال البلاد والماندي في الجنوب، إضافة إلى قبائل كونو أو الكونفو في شرق البلاد، ليمبا، كورانكو وبولوم.

وفي السودان الأوسط، نجد قبائل مثل السارا التي تتمركز جنوب تشاد وتدين بالمسيحية، إضاقة إلى قبائل مايوكيبي، كانم – بورنو، زغاوة على الحدود التشادية السودانية، وداي، تيبو ومساليت التي تدين بالإسلام. [3]

وفي منطقة السودان النيلي بين منطقة المستنقعات والمروج التي تمتد من الخرطوم في الشمال الى بحيرة فيكتوريا في الجنوب تسكن جماعة صافية من رعاة الدنكا Dinka والنوير Nuer والشيلوك Shiluk. وفي القرن الإفريقي نجد السلالة الإثيوبية التي اختلطت تاريخيا مع العرب القادمين من الجزيرة العربية، ولهذا فهم يختلفون عن باقي سكان إفريقيا جنوب الصحراء ومن أهم القبائل نجد الغالا والأبيسينيين والأمهارا

---

[1]- البدوي السعيد إبراهيم: «تطور الخريطة السياسية الإفريقية» مجلة الدراسات الإفريقية، مجلة محكمة يصدرها سنويا معهد البحوث والدراسات الإفريقية-جامعة القاهرة، 2005- العدد 27، ص:61.

[2]- تسكن قبائل الكرو القطاع الممتد من مونروفيا إلى نهر بنداما في ليبيريا، والذي يشكل جبهة لكتلة الغابات الشاسعة التي تسكنها الأقوام المنتمية إلى عائلة الكرو. وقد كان الكرو مزارعي غابات وصيادين وملاحين بارعين، وهم متميزون بتكوينهم البنيوي(انعدام الخلايا المنجلية) وباللغات النغمية التي يتحدثونها، التي تعتبر فريدة من نوعها بحيث لا يمكن تصنيفها في أية مجموعة معروفة من اللغات. راجع للمزيد من التفاصيل:

-Brooks, G.E : The Kru Mariner in the Nineteenth Century, Newark? Delaware: University of Delaware 1972.

[3]- راجع للمزيد من التفاصيل: ديرك لانجي: ممالك تشاد وشعوبها، تاريخ إفريقيا العام، الجزء(4)، مطبعة حسيب دورغام وأولاده، لبنان، 1998، ص-ص:247-271.

والتيجريان. وشمالا نجد مجموعات أخرى يطلق عليهم النوبيين حتى أعالي منطقة الشلال الثاني لنهر النيل. وفي شرق إفريقيا نجد جماعات عادة ما يطلق عليهم اسم النصف حاميين وهم الماساي والناندي والسوك وثلاث مجموعات رئيسة من قبائل البانتو وهم: السباكي والسوتا والروفو والنغوني.[1]

وتنتشر السلالة الفرعية الكونغولية على طول الغابة الاستوائية[2] التي تمتد إلى الجنوب حتى شواطئ نهر الكونغو. وأهم مملكة في المنطقة هي مملكة الكونغو، والتي تنقسم إلى ستة(06) مقاطعات أساسية هي: جامبا وسونيو والسوندي والبانغو وبانلا والبمبا. وعند دخول البرتغاليون في القرن 15م للمنطقة وجدوا مملكتين كبيرتين على ساحل محيط الأطلسي هما مملكة الكونغو وومملكة لوانغو وأخرى في الداخل هي مملكة تيو.[3]

وتتمركز في الطرف الجنوبي من القارة سلالة الرعاة البوشمن وقبائل الهوتانتوس وان كان أصلهم من سلالة واحدة هي سلالة الكوازان. وفي الفترة المعاصرة نجد أهم القبائل التي تعيش في المنطقة هم الزولو والخوي-خوي والسانا والهيريرو والناما.

وفي جزيرة مدغشقر نجد أن استيطان الجزيرة قد حدث نتيجة النطاق الواسع للعلاقات بين جنوب شرق آسيا وإفريقيا عبر المحيط الهندي. ولاسيما الأقوام القادمين من اندونيسيا والهجرة العربية والفارسية من الشمال. وتم الامتزاج بين الأعراق

[1]-Ehret, C : Ethiopians and Africans: the problem of contacts, EAPH, Nairobi, 1974.

[2]- تجدر الإشارة أنه في عمق الغابة الاستوائية تعيش جماعة الأقزام Pygmées وهم ينقسمون إلى ثلاث مجموعات رئيسية: الأقزام لشرقيون أو البامبوتي Bambouti أي رجال الغابة، وأقزام المنطقة الوسطى وهم جماعة الباكوا ويسكنون على ضفاف روافد نهر الكونغو وجماعة البابينغا قرب منطقة السانغا. والمجموعة الثالثة يعرفون بالأقزام الغربيون ويسكنون منطقة الغابون وهم الآكوا والبابونجو والبيكوي وقسم آخر يسكن منطقة الكاميرون وهم الباكا والباجيللي. أنظر للمزيد/ دنيس بولم: مرجع سابق، 1974، ص ص:80-81.

[3]- راجع للمزيد من التفاصيل/ جان فانسينا: إفريقيا الاستوائية وأنغولا الهجرات وظهور الدول الأولى، تاريخ إفريقيا العام، الجزء(4)، مطبعة حسيب دورغام وأولاده، لبنان، 1998، ص-ص:549-473.

الإفريقية والأسيوية بتدرج حتى ظهرت الحضارة الملغاشية في القرن الثاني عشر ميلادي.[1]

تجدر الإشارة أن البحوث التاريخية التي أجريت خلال الأعوام الثلاثين الماضية عن إفريقيا جنوب الصحراء أثبتت أنه لا توجد نماذج موحدة أو تقسيمات زمنية أوتوماتيكية تستطيع أن نقدم على تطبيقها. وعلى هذا الأساس تعتبر الفترة السابقة لمنتصف القرن السابع للميلادي، فترة تحرك بطيء لتاريخ المنطقة، مقارنة بالفترة التي ستأتي بعده اعتبارا من الربع الأخير من القرن السابع. ويمكن أن نشير على سبيل المثال إلى ثلاث ممالك افريقية قديمة كان لها دور كبير في التاريخ القديم لإفريقيا جنوب الصحراء وهي:

1-دولة زمبابوي الكبرى:

إن معرفتنا لأصول هذه الدولة التي اشتهرت بإنتاج تبر الذهب ومعادن النحاس والحديد يعود أساسا إلى علم الآثار، وبفضل الكاربون 14 الذي حلل الكثير من المواد المستعملة من قبل سكان هذه الدولة في صنع التحف الفنية النادرة. وعند وصول البرتغاليين في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي إلى الجزء الجنوبي الشرقي من القارة السمراء، كانت هذه الإمبراطورية قد دخلت في مرحلة الانحطاط.

والجدير بالذكر أن أنه تم اكتشاف ما يعرف اليوم بآثار **زمبابوي الكبرى** سنة 1867 م. ومن أهم هذه الآثار المعبد المشيد من الحجارة التي يبلغ سمكها ما بين 4 و 5 أمتار، إضافة إلى القلعة التي يبلغ طولها 10 أمتار. وبفضل الحفريات، تحصلنا على معلومات قيمة حول مظاهر الحضارة في هذه الإمبراطورية نذكر منها الأواني الفخارية

1 -Heurtebize, G et Vérin, P: Premiére découverte sur l'ancienne culture de l'intérieur de l'Androy(Madagascar): archéologie de la vallée du Lambomaty sur la haute Manambovo, Journal de la Société des Africanistes, 1974, 44, 2, pp :113-121.

الصينية والأواني المصنوعة من الزجاج التي تعود إلى الفترة الممتدة من القرن 6 م و القرن 15 الميلادي.[1]

وترك العرب كتابات أشارت إلى دولة زيمبابوي الكبرى وحضارتها لاسيما ابن بطوطة والمسعودي صاحب كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر الذي زار شرق إفريقيا عام 912 م وأشار إلى مناجم الذهب في زمبابوي وميناء سوفالا على شاطئ المحيط الهندي الذي كان يتم عن طريقه تصدير الذهب والمعادن.[2]

ويبدوا أن قبيلة الشونا كانت النواة الأولى لتأسيس هذه الإمبراطورية . والشونا الذين هم فرع من قبائل البانتو ، هاجروا من الكونغو بزعامة ملكهم **موتوتا** واستقروا في ما يعرف اليوم بزمبابوي . كما تمكنوا من السيطرة على مساحات شاسعة من المنطقة الممتدة من الزمبيزي إلى نهر ليمبوبو Limpopo إضافة إلى مناطق تمتد من صحراء كالهاري بنامبيا اليوم إلى المحيط الهندي. وكان تأثير دولة زيمبابوي والقوى التابعة لها محسوسا لمسافة بعيدة فيما وراء حدودها الطبيعية.[3]

2-مملكة الكونغو:

يعود الفضل إلى البرتغاليين في معرفتنا لهذه المملكة أي مملكة الكونغو عندما تمكن البرتغاليون سنة 1482 م من اكتشاف منبع نهر الكونغو من قبل ديغو كاو كما أصبح يعرف فيما بعد. واتخذت المملكة تسمية "الكونغو" نسبة إلى هذا النهر، وكان الملك يلقب ب "نغولا" Ngola، وهذا ما يفسر لنا إطلاق البرتغاليين تسمية أنغولا على ما يعرف اليوم بجمهورية أنغولا التي تقع حاليا جنوب دولة الكونغو، لأن هذه الأخيرة

[1]-Garlake, P.S : Great Zimbabwe, Thames and Hudson, London , 1973.

[2]- راجع للمزيد من التفاصيل/ المسعودي (أبو الحسن علي ابن الحسين): مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الرخاء، القاهرة، 1938/-محمد ابن عبد الله ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأقطار، بيروت، 1964.

[3]- Garlake, P.S : op, cit, p-p:24-44.

كانت جزء من مملكة الكونغو. وكانت عاصمة المملكة تحمل اسم بنزا والذي يعني بصفة عامة القصر أو مقر اقامة الملك، حيث بحكم موقعها في قلب المملكة تقريبا تمثل قلعة حصينة يمكن منها ارسال اشارة النجدة في حالة الهجوم عليها الى أية منطقة أخرى وفي وقت سريع جدا. كما أن بنزا التي أطلق عليها البرتغاليون فيما بعد اسم سان سلفادور، مدينة حسنة البناء محاطة بأسوار من الحجارة، وكانت مركزا تجاريا كبيرا وملتقى لأهم الطرق التجارية المنطلقة من الساحل ومن داخل البلاد.[1]

واتخذ الملك مبانزا كونغو Mpanza Congo سان سلفادور عاصمة لمملكة وتبعد حوالي 100 كلم جنوب الكونغو و200 كلم عن المحيط الأطلنطي، كانت المملكة تظم 6 من محافظات وكل محافظة على رأسها حاكم يجمع الضرائب التي كانت عادة عبارة عن مواشي ومنتجات زراعية.[2]

3 – مملكة بوغندا:

تقع هذه المملكة جنوب غرب أوغندا حاليا بشرق إفريقيا. وكانت لغتها تسمى لوغندا، وهي من لغات البانتو، ويسمى الفرد الذي ينتمي إلى هذه المملكة موغندا، وتجدر الإشارة إلى أن هذه المملكة تأثرت بالثقافة السواحيلية على غرار كل شعوب شرق إفريقيا. ويرى بعض المختصين أن هذه الأسرة اللغوية الضخمة، تضم أسرا فرعية تنتشر عموما في شرق إفريقيا وأشهر لغاتها السواحيلية[3]، كما تتواجد في جنوب غرب

---

[1] -Randles, W.G.L : L'Ancien Royaume du Congo, des origines a la fin du XIX[e] siècle, civilisations et sociétés, Paris, 1968, p-p :17-25

2-Ibid.

[3]-تنتشر في شرق إفريقيا ويتكلمها أكثر من أربعين مليونا(40) من البشر، ويمتد نطاق انتشارها إلى جمهورية الصومال وكينيا وأوغندا وتنزانيا والموزمبيق وشرقي الكونغو(كينشاسا) وجزر القمر وشمالي نياسالاند(ملاوي اليوم) وتتكلمها كذلك أقسام صغيرة في روديسيا الشمالية(زامبيا اليوم). وأصل الكلمة يأتي من اللغة العربية للتعبير عن أصل نشأة اللغة على الساحل أو السواحل. وتنقسم آراء العلماء والباحثين بشأن تاريخ اللغة، فيرى البعض أن أصلها يرجع إلى شعب يسمى السواحلي عاش في

إفريقيا وأشهر لغاتها هي لغة لينجالا، وهي اللغة الرئيسية في الكونغو الديمقراطية (زائير سابقا) حيث يتكلمها الملايين من السكان.

وتمتد البانتو إلى جنوب القارة وأشهر لغاتها ناغوتي، ومن لغات البانتو أيضا لغات الباغندا والباتورو في أوغندا. وغلب على اقتصاد مملكة بوغندا Buganda Kingdom الطابع الزراعي، كما عرف عن هذه المملكة تطورها السياسي والاجتماعي بحيث شهدت نظاما سياسيا متقدما من خلال اعتماد نظام ملكي مستقر عرف باسم نظام كاباكا مع وجود هيئة استشارية تدعى لوكيكو lukiko تشبه البرلمان حاليا، إضافة إلى وجود وزيرا أولا يعرف بكاتيكورو. وكانت مملكة بوغندا تظم محافظات على رأس كل محافظة باتونغولي Batongolé (والي عام).[1]

والجدير بالذكر أن هذه المملكة لعبت دورا بارزا في تاريخ أوغندا الحديث والمعاصر من خلال تزعم ملكها موتيسا الثاني الحركة الوطنية في أوغندا إلى غاية استرجاع الاستقلال عن الاستعمار البريطاني عام 1962.[2]

فترة الحكم الشيرازي(975بعد الميلاد) فيما بين مدينة كيلوا وباجاميو. ويرى البعض الآخر أنها نشأت في منطقة لامو ثم امتدت بعد ذلك جنوباً، وفي منطقهم أن المهاجرين العرب تزوجوا من الأفريقيات واستعملوا كلمات عربية وكلمات من لغات البانتو للحديث اليومي مع زوجاتهم وأولادهم، ومن ثم ظهرت السواحيلية من هذا الخليط اللغوي. ويرى فريق آخر أن هذه اللغة هي خليط من اللغات العربية والفارسية ولغات أوروبية أخرى. ويرى فريق من الباحثين في جامعة دار السلام أن أصل اللغة أقدم من هذه الآراء جميعاً فقد نشأت على ألسنة الأفريقيين الذين عاشوا في كينيا وتنجانيقا زنجبار الثناء رحلاتهم ومبادلاتهم التجارية عبر المحيط الهندي، وان اللغة تداولت على ألسنهم قبل وصول العرب والإغريق والبرتغاليين. للمزيد انظر/- (عودة)عبد الملك: **الحزب الواحد والتطبيق الاشتراكي في تنزانيا**، مجلة السياسة الدولية، العدد الثامن، 1967، ص:15. وراجع أيضا/

-Whiteley, H: Swahili: The national language of Tanzania, in Erik, Svendsen and Teisen, M: op. cit, pp: 111-112.

[1]-John Roscoe: The Baganda an Account of their native customs and beliefs, Macmillan and Co, London, 1911, pp. 1-45.

[2]- للاطلاع على تفاصيل معمّقة حول نشأة وتكوّن مملكة بوغندا القديمة راجع/- يوسف سليماني: التنظيم السياسي والسوسيو-اقتصادي للممالك الحديثة بشرق إفريقيا. مملكة بوغندا أنموذجا 1856-1884. أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر2 أبوالقاسم سعد الله، 2020.

وباختصار كان عامل المناخ وعوامل أخري أثرها في نمط الاستقرار البشري في القارة ، فقد ظلت المناطق الصحراوية في شماليها وجنوبها الغربي قليلة السكان ، كما أن عوامل المناخ المداري والاستوائي ، ووجود المناطق الموبوءة بالأمراض ومناطق الغابات الاستوائية والسدود والمستنقعات حدت من توطن السكان لمناطق معينة، وركزتهم في مناطق أخري، ومن ثم وعلي الرغم من أن قارة إفريقيا هي ثاني أكبر قارات العالم ، فإن سكانها يكونون حوالي 10% من مجموع سكان العالم ، موزعين علي خمس أراضيها.

وقد جرت عدة محاولات لتقسيم سكان القارة على أسس عرقية وأثنية و ثقافية، والسائد الآن هو تقسيم القارة إلى مناطق أساسية هي:

1) إفريقيا الشمالية
2) إفريقيا الغربية
3) وسط إفريقيا الغربي
4) شرق إفريقيا
5) وسط وجنوب إفريقيا

وربما أضيفت إلى هذه التقسيمات منطقة جزيرة مدغشقر، والتي تكون منطقة ثقافية قائمة بذاتها، ولكل من هذه المناطق سماتها العرقية، والثقافية، ولغاتها، فمنطقة الغرب الإفريقي هي ذات تباين عرقي وثقافي واضح، ففيها قبائل الماندي، وقبائل الفولاني، والهوسا، والأيبو، واليوروبا، والأشانتي، والوولف وغيرهم وتوجد بعض هذه القبائل في منطقة وسط السودان الغربي ، والتي هي في الواقع امتداد جغرافي لمنطقة غربي إفريقيا، وهي تشمل تشاد، وجمهورية إفريقيا الوسطي، وكافة دول نطاق

السودان، ثم هناك منطقة حوض نهر الكونغو ، وهي أيضا ذات تباين عرقي، فالعرب موجودون في شمالها، والقبائل المتحدثة بالبانتو واللهجات السودانية في جنوبها، بينما ينتشر الأقزام في الكونغو والجابون، كذلك الحال بالنسبة لشرقي إفريقيا، وبها المناطق الإثيوبية والصومالية بكل سماتها اللغوية والثقافية، فهناك قبائل الأرومو، والجالا، والصومال في القرن الإفريقي، والأمهرة، والتغراي والبقري وغيرهم في أماكن مختلفة من إثيوبيا، وكل هذا جعل سكان القارة يتحدثون حوالي ألف لغة، معظمها غير مكتوب.

- المحور الثـاني: انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء:(3 محاضرات)

يندرج الإسلام – وكذلك المسيحية – في فئة الأديان التبشيرية، أي الأديان التي يعتبر فيها نشر الحقيقة وهداية " غير المسلمين " واجبا يضطلع به مؤسس الدين ومن ثم المجتمع كله. ويسمي المسلمون عملية الهداية هذه بالدعوة، وهي كلمة تعني في هذه الحالة الدعوة إلى اعتناق الدين الإسلامي.

وقد نصت العديد من السور القرآنية على واجب دعوة غير المسلمين إلى اعتناق الإسلام، ومن ذلك مثلا قوله تعالى(...وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ ...)[1] وترد مثل هذه المواعظ في سور عديدة من القران الكريم.

شكل انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء فصلا مهما في تاريخ القارة السمراء، وقد دخل الإسلام في القرن السابع الميلادي عبر مصر(كانت إقليما بيزنطيا آنذاك) والتي كانت أول إقليم يفتحه العرب المسلمين، ثم جاء بعده الفتح العربي الكبير لشمال إفريقيا التي كانت أجزاء منها هي الأخرى تحت السيطرة البيزنطية.

[1]- سورة آل عمران الآية 19.

وتشير المصادر التاريخية[1] أن أساليب وطرق انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء كانت مغايرة تماما للأساليب التي فتحت بها شمال إفريقيا، اللهم إلا بعض الاستثناءات التي كانت محدودة جدا مثل غزو المرابطين لمملكة غانا في القرن الحادي عشر الميلادي والاستيطان العربي في شرق إفريقيا.

لم يكن انتشار الإسلام في إفريقيا على نمط واحد، وان اختلف انتشاره من منطقة إلي أخري فقد انتشر مثلا في القرن الإفريقي من جهة الشمال إلي الجنوب، ومن شمال إفريقيا عبر الصحراء جنوبا إلي منطقة السافانا في الغرب الإفريقي، ثم من هناك إلي منطقة الغابات حيث قل بعد ذلك انتشاره، حيث أصبح ضعيفا في تلك الجهات الجنوبية، ثم انقطع أثره إلا فيما يلي بعض المناطق في سيراليون وجنوب نيجيريا. كما تجدر الإشارة أن أثر الإسلام هناك كان يقل كلما اتجهنا جنوبا، وأن أثره تركز في المناطق الشمالية الواقعة ضمن النطاق الصحراوي، ومنطقة السافانا مثل موريتانيا، مالي ، السنغال ، غامبيا ، غينيا ، النيجر ، وتشاد ، وشمال كل من ساحل العاج ونيجيريا وغانا.

1- السودان الغربي والأوسط:

دخل الإسلام إلى السودان الغربي والأوسط عبر الصحراء الكبرى عن طريق القوافل التجارية، وكانت مدينة تادمكة التجارية أول مركز في السودان الغربي يتحول إلى الإسلام وينشره بين السكان الإفريقيين. وتركز بعدها في المراكز التجارية والحضرية التي مر بها التجار واستقروا فيها، وفي مراكز القوي السياسية أيضا مثل حواضر الدويلات

[1]- أهمها المصادر العربية المكتوبة كالبكري والمسعودي والمقريزي والإدريسي وابن بطوطة وحسن الوزان وابن خلدون فيما بعد، والمصادر الإفريقية ولاسيما تاريخ السودان لعبد الرحمان السعدي الذي حققه هوداس في باريس 1964. ومصدر نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التمبكتي.

التي كانت قائمة آنذاك في السودان الغربي والأوسط، كدولة غانا مثلا والتي أمدنا أبوعبيد الله البكري بمعلومات قيمة عنها في كتابه (المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب) وقد ذكر فيما ذكر انه في حوالي عام 60هـ/ 679م كان هناك حي للتجار المسلمين في عاصمة غانا، وقد وصف البكري هذا الحي، والإثني عشر مسجدا في تلك العاصمة الغانية وقد تحدث البكري أيضا عن الإسلام وقدمه في المملكة.[1]

وذكر ابن خلدون بخصوص بداية انتشار الإسلام في الصحراء أن صنهاجة الملثمين كانت قد دانت بالمجوسية (عبادة الأوثان) شأن جميع شعوب البربر بالمغرب ويضيف أن البعض منهم قد دان بدين اليهودية ديانة بني إسرائيل وذلك عند استفحال ملكهم لقرب الشام وسلطانه منهم، وقبل أن يسلم هؤلاء بفتح إفريقية زمن الخليفة عمر بن الخطاب في سنة 29هـ كانوا تحت ملك الفرنج وعلى دين النصرانية الذي اجتمعوا عليه مع الروم[2] .

وتأخر إسلام التوارق بشكل نهائي وكامل حتى بعد فتح الأندلس، وهذا راجع لإرتدادهم عن الدين عدة مرات حتى قيل إلى اثنتا عشر مرة، وخاضوا حروبا فيها، قد يرجع سبب هذا التعاقب عدة ديانات على شعوب البربر ويبدو أنهم بعد أن جربوها واعتنقوها لم تفدهم في شيء، بل على العكس من ذلك فقد خسروا أراضيهم وخيراتهم ونهبت ثرواتهم من طرف الذين جاءوا بهذه الأديان كل مرة، وذاقوا مرارة العبودية والذل من طرفهم، فنظروا ربما لحاملي دعوة نشر الدين الجديد (الإسلام)على أنهم كذلك، فحاربوهم وقاوموهم هذا من جهة، أو ربما لأنهم كانوا قد اقتنعوا بالديانة

[1]- James Kritzeck and W. H. Lewis(eds): Islam in Africa (Van Nostrand-Reinhold, Princeton, New Jersey, 1969, pp:15-19.

[2]-Mangeot et paul Marty : Les Touareg de la boucle du Niger, Emile larose ,librairie éditeur ,paris ,1919, pp 88-90.

المسيحية وحاربوا الإسلام لأجلها، إلا أنه من المعروف أن الغلبة كانت دائما للمسلمين سواء بقيادة موسى بن نصير أو عقبة بن نافع، وتحت وقع الإنهزام والسيطرة الخارجية يكون قد فضل البعض منهم أن يدعوا الإسلام مؤقتا حتى يعاودوا ترتيب أنفسهم للقتال، وفضل البعض النزوح إلى الجنوب والصحاري على أن يخضعوا لهؤلاء النازحين الجدد فالمعروف عنهم أنهم لا يخضعون بسهولة لسيطرة خارجية عنهم وأنهم حاربوا وواجهوا طلائع العرب من بني هلال في المانة الخامسة بإفريقية (القرن 11 للميلادي) وهذا ما يؤكده ابن خلدون بقوله : " وكان لهم في الردة وحروبها آثار ومقامات ... وأنهم قوم مرهوب جانبهم، شديد بأسهم كثير جمعهم مظاهرون لأمم العالم وأجباله من العرب والفرس ويونان وروم ."[1]

هذا ودون أن نذكر حروب كسيلة أمير قبيلة أوربة وكافة البرانس وقتله لعقبة بن نافع في وقعة تهُودة وما نتج عنها من ردة، حتى ثأر لدم عقبة زهير بن قيس في سنة 686 وقتل كسيلة، كل هذه الحروب كان لها الأثر في الهجرة من مناطقهم إلى الصحاري والقفار.

تجدر الإشارة هنا أنه كان للخوارج دور كبير ولاسيما الاباضية بعد إقامة دولتهم في المغرب الأوسط (تيهرت) في نشر الإسلام في السودان الغربي، وذلك عبر الأنشطة التجارية وأنشطة الدعوة. وتذكر بعض البحوث الحديثة أنهم دخلوا السودان الغربي قبل السنّيين بزمن طويل، ويلاحظ أن كتابات المؤلفين الاباضيين من شمال إفريقيا حافلة بالمعلومات عن شبكة التجارة الاباضية في الصحراء الكبر وفي السودان الغربي من القرن الثامن الميلادي وما بعده. ولم تنتهي التأثيرات الاباضية في السودان الغربي إلا

[1]-Ibid, p :104.

تحت ضغط المرابطين الذين دعوا إلى الإسلام السني المالكي وعملوا على نشره بين السكان المحليين.[1]

وكان اقتران الإسلام بالتجارة ظاهرة معروفة في إفريقيا جنوب الصحراء، فكانت الجماعات الأكثر نشاطا في التجارة خلال القرون التالية- الديولا والهاوسا والديانكة- بين أول من تحولوا إلى الإسلام عند اتصال بلدانهم بالمسلمين. ويمكن تفسير هذه الظاهرة بعوامل سوسيو-ثقافية واقتصادية. فالإسلام، بوصفه دينا ظهر في مجتمع مكة التجاري، ودعا إليه نبي كان هو نفسه لفترة طويلة يعمل بالتجارة، قد ساعدت هذه المجموعة من القواعد الأخلاقية والعملية التي ترتبط لفترة طويلة ارتباطا وثيقا بالأنشطة التجارية على تنظيم العلاقات التجارية وضبطها وقدمت إيديولوجية توحّد بين مختلف أفراد الجماعات العرقية.

وقد كوّن المسلمون في تلك الفترة الأولى مجتمعات صغيرة متفرقة على امتداد طرق التجارة الرئيسية في كل منطقة الساحل والسودان. وهكذا ظهر الإسلام في البداية، لا في شكل اعتناق جماهيري واسع، وإنما في شكل جيوب حضرية إسلامية في مراكز التجارة والسلطة السياسية. وقد شكلت هذه المستقرات الإسلامية الكائنة على امتداد الطرق التجارية وفي المراكز الكبرى، القواعد اللازمة لنشر الإسلام فيما بعد. وبعدها تواصل انتشار الإسلام في السودان الغربي وتحول بعض الأسر الحاكمة إليه وامتداده هكذا إلى المجال السياسي مرتبط بقيام حركة " المرابطين" والتي أدت إلي أسلمة بربر الصحراء كليا ، مثل التردالا واللامتونا، وهجرتهم جنوبا حيث تمكنوا من السيطرة على عاصمة دولة غانا في عام 460 هـ - 1067م كما أنهم تمكنوا من تحويل الأسرة

[1]-Hodgkin, T: Nigerian perspectives-An historical anthology, 2e ed, OUP, London, 1975, p:118.

الحاكمة في مالي إلي الإسلام، ومن أسلمة السوننكة Soninke وبعض زعماء أعالي السنغال.

وقد لعب ملوك هذه الدول دورا واضحا في نشر الإسلام في السودان الغربي، ومثال ذلك الدور الذي قام به منسى موسى سلطان امبراطورية مالي(1307هـ - 1332هـ) في نشر الإسلام بين قبائل الماندانغ(اكبر قبائل مالي) وفي أواسط بلاد النيجر.[1] وبعد المرابطين ظهر الموحدون كورثة لهم في مطلع القرن 12 م ، وعملوا على نشر الدين الإسلامي في السودان. وابتداء من منتصف القرن الثامن عشر تكفلت الطرق الصوفية بنشر الإسلام وإيصاله إلى إفريقيا المدارية، ومن أهم الطرق الصوفية نذكر ما يلي:

أ- الطريقة القادرية:

تأسست بالعراق في القرن الثاني عشر الميلادي ووصلت إلى إفريقيا في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، وتولى نشر مبادئها في شمال إفريقيا انطلاقا من مدينة بجاية، قطب الصوفية شعيب بومدين واستقرت لمدة في زاوية كنتا بأدرار، ثم انتقلت إلى موريتانيا ومنها إلى قبائل الولوف بالسنغال.

وللقادرية تأثير واضح في باقي الطرق الموجودة بالقارة السمراء والتي نشأت كلها بعدها، كالفاضلية والمريدية.[2] ويمثل آمادو أحمدو سلطان المسينة وعثمان دان فوديو رائد الحركة الإصلاحية في السودان الغربي والأوسط، أشهر زعماء الجهاد الإفريقي المنتمين إلى القادرية وهي حاليا منتشرة في كل من الجزائر، موريتانيا، السنغال، النيجر، مالي، نيجيريا، الكامرون، الطوغو، غينيا و إفريقيا الشرقية. ومن أهم دعاة القادرية

[1] Trimingham, s : The influence of Islam upon Africa, Longmans, London, 1980, p:19

[2]- نعيم قداح: حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الجزائر، 1974، ص 89.

وشيوحها، الشيخ عثمان دان فوديو وابنه محمد بلو وأخوه عبد الله فوديو، الشيخ أحمد الكنتي والشيخ أحمد البكاي.

ب-**الطريقة التيجانية**:

أسسها أبو العباس أحمد بن محمد المختار التيجاني، المولود سنة 1737 بعين ماضي جنوب غرب مدينة الأغواط بالجزائر.[1] وقام أحمد التيجاني المتوفى بمدينة فاس سنة 1815م بإدخال العديد من التعديلات على تعاليمها وطقوسها وأوصى بأن تبقى المناصب السامية للطريقة محصورة في أسرته أو أسرة "مقدمه" علي بن الحاج عيسى، مما أثار فيما بعد، البلبلة والخلافات في صفوف مريديها. وتتفرع الطريقة إلى ثلاث زوايا رئيسية: زاوية عين ماضي وزاوية تيماسين وزاوية فاس.

وتبدأ الطريقة انطلاقتها الأولى على يد الشيخ محمد علي حفيظ ولد مختار من الترارزة بموريتانيا سنة 1873 في قبيلة إد التي ينتمي إليها. وتغلغلت فيما بعد في باقي الأقطار الإفريقية تحت راية المجاهد الكبير الحاج عمر تال وابنه وخلفه أحمدو شيخو.

وفي سنة1873 يتلقى الحاج مليك سي لأول مرة ورد الطريقة فيتولى زعامتها إلى أن يستقر به الأمر سنة 1902 بمدينة تيفاوا بالسنغال فيفتح بها مدرسة لتعليم القرآن، تتحول تدريجيا إلى جامعة شعبية تساهم بكل جدارة في تعميم التعليم الديني الصحيح إلى الطلبة الوافدين عليها من كل مكان.[2]

أما في منطقة السودان الأوسط فقد كان لجهود قبائل إقليم برنو وكانم، وكذلك لحكامهما، والذين اعتنقوا الإسلام على أيدي الدعاة أكبر الأثر على نشره بين الوثنيين في تلك المنطقة، ويرجع أول ظهور للإسلام في المنطقة الى أواسط القرن الحادي عشر

[1]-Samson Fabienne: Une Tidjaniyya Plurielle, Enjeux Locaux Et Internationaux. Du Sénégal Au Maroc, Dirassat Ifriquiaa, Revue semestrielle du laboratoire etudes Africaines, Universite Alger2, Volume 3, Numéro 6, 2018, pp :34-37.

[2]-Ibid.

الميلادي مع تحول كانم للإسلام. وبعدها وسعت قبائل الهاوسا نشر الإسلام في القرن الرابع عشر الميلادي. وهناك دلائل علي أن الإسلام وصل إلي سواحل المحيط الأطلسي إلي جهات السينيغامبيا، وفي أواسط التولكور، والولوف Wolf وإلي المالنكي، وإلى الأسر الحاكمة هناك في القرن السادس عشر الميلادي عن طريق العرب وبربر الصنهاجة، وقد وصل الإسلام إلى الساحل الغيني واسلم حكام تلك المنطقة " القونجة" Gonja وكذلك وصل إلي منطقة الأشانتي حيث تذكر المصادر أن ملكهم(أوسامي كوامي) أسلم في حوالي عام 1194 هـ / 1780وقد ارتبط انتشار الإسلام بالدويلات ذات النظام المركزي القوي وبحكام تلك الممالك.[1]

ومن الممكن بطبيعة الحال، أن تكون منطقة الهاوسا قد دخلتها عدة موجات من المسلمين الونقارة في فترات مختلفة وأن يكون ممثلوهم الأوائل قد نجحوا في نشر الإسلام بين التجار خاصة.[2]

ويبدو أنه في القرن الحادي عشر الميلادي بلغت دينامية التطور، الذي بدأ من قبل في دول سودانية كثيرة، مرحلة كان فيها الانضمام إلى الإسلام يتيح بعض المزايا للطبقات الحاكمة ولمجموعة متزايدة العدد من التجار المحليين. وخلال القرن السادس عشر الميلادي زاد وضع الإسلام تدعما بفضل سياسة حاكم صنغاي أسكيا محمد.

تجدر الإشارة أن عملية نشر الإسلام في منطقة السودان الغربي والأوسط واجهتها عدة عقبات وصعوبات أهمها بطبيعة الحال، مقاومة بعض الشعوب والقبائل الوثنية لعلمية نشر الإسلام كشعب الموسي الذي قاوم مقاومة شديدة انتشار الإسلام وتقدمه

1- James Kritzeck and W. H. Lewis(eds): op, cit, pp:15-19.

2-Lange, D : Progrès de l'Islam et changement politique au Kanem du XIe au XIIIe siècle : un essai d'interprétation, JAH,1978 ; 19-4, p-p495-513.

في منعطفات نهر النيجر، حتى قضى عليهم أسكيا محمد حاكم سنغاي في حملة عسكرية كبيرة في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي.

وعلى الرغم من ذلك كله، فقد كان وضع الإسلام في القرن السادس عشر الميلادي مترسّخا بصفة عامة على امتداد الحزام السوداني، من المحيط الأطلسي إلى بحيرة التشاد وفيما ورائها، فكان الحكام في جميع الممالك والدول الكبرى والصغرى مسلمين، كما كانت تعيش مجتمعات إسلامية افريقية في هذه الممالك والدول، وان كان بعضهم مسلمين بالاسم فقط.

2-السودان النيلي والقرن الإفريقي:

كانت منطقة القرن الإفريقي، ومنطقة السودان النيلي(نهر النيل) هما أول منطقتين يصلهما الإسلام في إفريقيا المدارية، وقد تمت عملية الأسلمة في شمالي السودان عن طريق المهاجرين والقادمين إليه بعد فتح مصر وعن طريق هجرات القبائل العربية واستقرارها في أنحاء عدة منه، وكذلك عن طريق التجار القادمين من الشرق عبر موانيء البحر الأحمر ، وعيذاب وسواكن، وفي سنة 702م انتشر الإسلام بشكل واسع في منطقة دارفور وقد استمرت عملية الأسلمة والتعريب حتى ارتبط أهل السودان بالإسلام، وبالتعريب.[1]

تجدر الإشارة أن الذي أعاق انتشار الإسلام وتقدمه في المرحلة الأولى في منطقة السودان النيلي هو وجود الدول النوبية المسيحية، وقد حاول المسلمون انطلاقا من مصر غزو ممالك النوبة عدة مرات ولكنهم فشلوا واصطدموا بمقاومة عنيفة أجبرتهم على عقد هدنة معهم عرفت باسم معاهدة البقط عام 652 م، وظلت سارية المفعول طوال ستة

[1]-James Kritzeck and W. H. Lewis(eds): op, cit, p: 4 .

قرون.[1] وفتحت هذه المعاهدة علاقات ودية بين المسلمين وممالك النوبة(دنقلة)، وأقام التجار العرب المسلمين في المنطقة السودانية بكل حرية وأصبحت عندهم أحياء خاصة بهم، حيث أدخلوا المبادئ الأولية للدين الإسلامي، ثم توافدت بعد ذلك هجرة جماعات البدو العربية، وساهموا بقدر كبير في نشر الإسلام في كل منطقة السودان النيلي، واستمر التأثير الإسلامي حتى تحول ملوك النوبة نحو الإسلام في القرن الثاني عشر الميلادي.

وبالموازاة مع استمرار تدفق البدو العرب الذين أغرتهم المراعي والأراضي الخصبة المحيطة بوادي النيل، جاء دور العلماء لتعزيز نشر الإسلام في المنطقة خصوصا وأن البدو العرب لم يكن من أولويتهم نشر الإسلام بتعاليمه ومبادئه الشرعية. وفي القرون التالية تدفق على المنطقة شيوخ الطرق الصوفية، حيث أقاموا في السودان وبدؤوا في شرح الشريعة الإسلامية للسكان المحليين الذين كانوا غارقين في الجهل، ونجحوا ابتداء من القرن السادس عشر في تحويل ممالك الفونج المستقرة في حوض النيل الأزرق إلى الإسلام.[2]

أما في منطقة القرن الإفريقي وشمال شرقي إفريقيا، فقد انتشر الإسلام بين أواسط الجماعات المتحدثة باللغات الحامية والكوشية، من أمثال الساهو، والعفر (الدناكل) والصوماليين، ثم في أوساط الأوروموا، والبني عامر في السودان الشرقي واريتريا، وقد دخل الإسلام إلي كل هذه المنطقة عبر البحر الأحمر والمحيط الهندي، حيث وصلتها جماعات مهاجرة ومتاجرة من جنوب الجزيرة العربية، ومن عمان ومن فارس، فأقامت علي السواحل مستوطنات عربية وفارسية مسلمة، من أهمها تلك التي في زيلع في الشمال ومقديشو في الجنوب، واستقر العرب والفرس المسلمون في تلك

[1]-Trimingham .J.S : Islam in the Sudan, OUP, Londres, 1949.

[2]- Ibid.

المراكز الساحلية التجارية واستقر فيها الدعاة، واختلطوا بالأهالي وتزوجوا منهم ، ناشرين للإسلام بينهم، حيث ارتبط بعد ذلك بتحركات القبائل الصومالية في القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي والتي وصلت حتى منطقة شمالي كينيا، فكانوا هم حملة الإسلام إلي تلك الجهات.[1]

ولوحظ في أواخر القرن التاسع الميلادي أن جاليات إسلامية استقرت على امتداد الطرق التجارية الرئيسية بين ساحل البحر الأحمر (جزر دهلك) والمملكة الحبشية حيث احتكر التجار المسلمون لفترة طويلة تجارة القوافل، ولكنهم على ما يبدوا كانوا ممنوعين من نشر دينهم.[2]

وارتبط انتشار الإسلام في شمال شرقي القارة بطرق التجارة التي سلكها التجار العرب المسلمون، والإفريقيون المتأثرون بهم ، وكانت تلك الطرق تبدأ من زيلع متجهة إلي الهضبة الحبشية عن طريق هرر، وقد قامت في تلك المنطقة عدة دويلات إسلامية ارتبط قيامها بحركة وازدهار التجارة، ومن تلك الدويلات (تسميها بعض المصادر ممالك إسلامية) مملكة إيفات التي زعم ملوكها أنهم من نسل أسرة الرسول صل الله عليه وسلم عن طريق أبي طالب، ومملكة دَوارو غربي منطقة هرر، وأرَبابيني، وهوية، وسرخا، وبالي. واشتهرت هذه الدويلات باسم دول الطراز الإسلامي لأنها كانت على جانبي البحر كالطراز له، كما ذكر ذلك المقريزي.[3].

وقد قامت هذه الدويلات على أطراف دولة الحبشة النصرانية حيث دخلت معها في صراع مرير من أجل الهيمنة السياسية استمر لمدة خمسة قرون دون أن تنتصر قوة على أخرى، حتى قامت حركة الجهاد التي قادها احمد غران في عام 1542م ضد مملكة

[1]-Schneider, M: Stèles funéraires arabes de Quiha, AE, 7, 1967, p-p: 107-122.

[2]-Ibid.

[3]- سيد احمد العراقي و غيثان بن علي جريس : تاريخ الأقليات الإسلامية في العالم-إفريقيا، ط.1، الجزء الأول ، أبها، 1997، ص 30.

إثيوبيا المسيحية، حيث استطاع أن يحشد في جيشه مقاتلين من العفر والصوماليين من سكان السهول، وكذلك جماعات كثيرة من الذين يتكلمون الكوشية والسامية في الهضبة الإثيوبية. وكادت هذه الحركة أن تقضي على الدولة المسيحية في الحبشة لولا تدخل البرتغاليين والذي أدى بدوره إلي إضعاف تلك الدويلات وتراجع النفوذ الإسلامي في منطقة المرتفعات الحبشية، وإن ظّلت مناطق الحدود الشرقية والجنوبية مرتبطة بقوة بالإسلام. [1]

وفي النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي، كان عدد من التجار المسلمين (عرب وفرس) قد أقاموا في المدن الصومالية كاماركة وبراوة ومقديشو، وتبعتهم هجرة واسعة من الأسر العربية والفارسية والهندية. ومع مرور الوقت اندمج هؤلاء مع السكان المحليين وساهموا في نشر الإسلام وترسيخه في المدن الساحلية الصومالية.[2]

3- الساحل الشرقي لإفريقيا:

ظل الإسلام الذي جاء به التجار والمهاجرون العرب، والعمانيون والشيرازيون فيما بعد محصورا في الساحل الشرقي للمحيط الهندي، ولم يتوغل إلي الداخل إلي في فترة متأخرة (القرن التاسع عشر الميلادي) وقد وقفت عقبات في سبيل تغلغله إلي الداخل ، منها طبيعة الأرض الوعرة ، وانعدام الأمن، وعدم وجود مراكز سكانية عامرة ، أو كيانات سياسية مركزية يمكن أن تكون قاعدة لمصالح اقتصادية ، واداة لتأمين التجارة وطرقها ، مضافا إلي ذلك تحركات القبائل من الداخل ونحو الساحل ، قبل تحركات قبائل الزمبا Zimba[3] في السادس عشر الميلادي، وتحركات قبائل الجالا فيما بعد في

---

[1]- James Kritzeck and W. H. Lewis(eds): op, cit, pp: 7-8 . See Also Trimingham .J.S : Islam in Ethiopia, OUP, Londres, 1952.

[2]- Trimingham .J.S : A history of Islam in West Africa, OUP, Londres,1962 p:215.

[3]-قبائل الزيمبا الإفريقية من أكلة لحوم البشر، وهم فرع من محاربي اللوندو، بارعين في تقنيات الصيد ومطاردة الحيوانات المفترسة، مكان استقرارهم الأصلي هو جنوب نهر الزمبيزي، وقد ضلوا لعدة سنوات يتنقلون في اتجاه الشمال على طول الساحل، فدمروا كل المدن التي

القطاع الشمالي، التي كانت تقف عقبة أمام توغل التجار المسلمين إلي أراضي شرق إفريقيا الداخلية، حيث ظلوا محصورين في الساحل والجزر القريبة منه مثل جزر زنجبار، وبمبا ومافيا، وعن طريق هذه التجارة انتشر الإسلام، وظهرت ثقافة هجين بين العناصر البانتوية ، والعربية والفارسية هي الثقافة السواحيلية.

ويرجح المؤرخون أن استيطان العرب في شرق إفريقيا يعود إلى فترة مبكرة ترجع إلى حوالي القرن الثاني قبل الميلاد، حيث وصلوا حتى مدينة سوفالا جنوبي نهر الزمبيزي، كما أنهم اكتفوا في هذه الفترة بالاستقرار المؤقت على الساحل ولم يحاولوا التوغل إلى الداخل، مكتفين بإنشاء مراكز تجارية لتصدير المنتجات والسلع الإفريقية كالعاج والرقيق إلى الإمبراطوريات القديمة، كالإمبراطورية الرومانية والفارسية.[1]

واختلفت التفسيرات التاريخية حول أسباب ودوافع هجرة العرب المسلمين إلى سواحل شرق إفريقيا، فبالإضافة إلى الأسباب الاقتصادية والتجارية من خلال الاستفادة من الموقع الاستراتيجي والجغرافي(قرب سواحل الخليج العربي من سواحل شرق إفريقيا حيث لا تتجاوز على سبيل المثال المسافة بين زنجبار وعدن 1700 ميل)، توجد أسباب دينية وإستراتيجية وسياسية، كالمنازعات الدينية التي كانت تشهدها الجزيرة العربية، وكذلك الوضعية السياسية في الخليج العربي خاصة بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، وما جاء بعدها من ثورات ذات الطابع السياسي المضادة للحكم الأموي والعباسي، كلها شجعت بعض القبائل العربية على الهجرة إلى مناطق آمنة وكانت شرق إفريقيا هي المكان المألوف والمناسب لاستقرارها. والى جانب هذه الهجرات

مروا بها. وفي عام 1588، هاجموا مدينة كيلوا وذبحوا معظم سكانها، ونهبوها على الآخر. كانت نهايتهم على يد البرتغاليين وقبائل السيجيجو المحلية بعد مهاجمتهم لمدينة ممباسا. انظر للمزيد من التفاصيل/

Edward, Alpers: Ivory and Staves in East-Central Africa: Changing Patterns of International Trade to the Later Nineteenth Century, Heinemann, London, p-p:58-65.

[1]- حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى، معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة، 1957.ص ص:126-127.

العربية، كانت هناك بعض الهجرات الفارسية الشيرازية التي تعود أسبابها كذلك حسب المصادر التاريخية، إلى دينية واقتصادية وسياسية.[1]

وبحلول عام 1500م، كانت هذه المدن لا تزال تنعم برفاهية ورخاء اقتصادي ومادي كبير نتيجة لانتعاش تجارة الذهب والعاج والرقيق بينها وبين الخليج العربي ومدينة شيراز الفارسية والهند. وقد شهد الرحالة العرب أمثال المسعودي الذي زار شرق إفريقيا في القرن العاشر الميلادي مع التجار المسلمين ووصل حتى سوفالا، وابن بطوطة من بعده الذي زار مدينة كيلوا[2] وممباسا عام 1331، بالمستوى العالي الذي بلغته حضارة الساحل إبّان تلك الحقبة. وقد تجلت مظاهر هذه الحضارة في الأبنية الحجرية وقصور الحكام والمحال التجارية المتنوعة، بالإضافة إلى المزارع الواسعة واستخدام أنظمة متقنة للصرف الصحي وتوفير إمدادات منتظمة من المياه والمواد الغذائية للسكان.[3]

وبالرغم من الطابع الإسلامي العميق للمدن الساحلية العديدة التي تمتد من خليج لامو في كينيا شمالا إلى الموزمبيق جنوبا وهو ما يقدمه ويدعمه علم الآثار والمصادر العربية، إلا أن الإسلام وعل عكس ما حدث في منطقة السودان النيلي والقرن الإفريقي أين تمكن الإسلام من إدخال أقوام بأكملها، فإنه لم يتغلغل في داخل شرق إفريقيا ولم يكن له تأثير في جماعات البانتو، حيث لم يحقق نجاحا إلا بين سكان الساحل الذين كانوا على اتصال مباشر بالمهاجرين العرب والفرس الذين أقاموا في المدن.[4]

---

[1]- راجع للمزيد من التفاصيل/ حسن إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص ص:126-127.

[2]- مدينة تقع على ساحل المحيط الهندي، وتنقسم إلى قسمين، كيلوا كيسواني وكيلوا كيفنجي، أسسها العرب سنة 975م، وهي تبعد عن العاصمة دار السلام بنحو 200 كلم إلى الجنوب. وكانت كيلوا عاصمة مدينة امتدت سلطتها السياسية –حتى قدوم البرتغاليون- من سوفالا إلى نهر روفيجي، وكانت أيضا من أكبر مدن شرق إفريقيا ازدهارا ورخاء لاحتكارها تجارة الذهب الذي كان يصل إلى سوفالا من مناجمه فيما يعرف اليوم بالموزمبيق وزيمبابوي.

[3]- أنظر في تفاصيل وصف المسعودي/ المسعودي (أبو الحسن علي ابن الحسين): مرجع سابق. وفي تفاصيل ابن بطوطة أنظر/ ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله: رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج.2 ، القاهرة، مطبعة وادي النيل، 1969.

[4]- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله: مرجع سابق، ج.2، ص 193.

وعلى الرغم من انحدار سكان الساحل من مجموعات عرقية وإثنية مختلفة، تدين معظمها بالولاء لمواطن انحدارها الأصلية، وقيامها بتجزئة الساحل سياسيا، فقد عوض عنها-مع مرور الزمن- والى حد كبير، ظهور مجتمع منسجم ثقافيا واجتماعيا، عُرف بالمجتمع السواحيلي (أهل الساحل)[1]، الذين أصبحت لديهم لغة خاصة بهم، سرّعان ما تطورت لتصبح لغة التعامل في الساحل كله، هي اللغة السواحيلية.[2] فالمهاجرون العرب والفرس لم يكونوا كثيري العدد، وكانوا يتزوجوا بنساء إفريقيات ويندمجون في السكان المحليين وظل المسلمون زمنا طويلا يمثلون أقلية تتطلع إلى الساحل أكثر منه إلى داخل القارة الإفريقية.

والواقع أن مسلمو الساحل الذين توغلوا بتجارتهم (تجارة القوافل للمسافات الطويلة) داخل القارة بذلوا جهودا كبيرة لنشر الإسلام في المنطقة، غير أن القبائل الإفريقية التي تقطن المناطق الداخلية رفضت الإسلام-كما سترفض المسيحية فيما بعد إلا في بعض الحالات النادرة- وبقيت منغلقة على نفسها وحافظت على تقاليدها وعقائدها الوثنية، رغم اتصالهم بالمسلمين لعدة قرون. وفي المقابل، نشط سكان الساحل بدرجة كبيرة في نشر الدعوة الإسلامية في جزر المحيط الهندي (جزر القمر) وجزيرة مدغشقر، وتشير بعض المصادر أنهم قد وصلوا (خاصة الشيرازيين منهم) في القرن الثالث عشر الميلادي. وقد اندمجوا مع السكان المحليين كما حدث مع سكان الساحل من قبل، ونتج عن ذلك ظهور مجتمع متجانس إلى حد كبير يعرفون باسم سكان البحر (انتالاوترا)، يتكلمون اللغة السواحيلية باللهجة الملغاشية.[3]

---

[1]- الحضارة السواحيلية هي مزيج من عادات وقيم شعوب كثيرة من داخل القارة ومن بلدان أخرى مطلة على المحيط الهندي، انصهرت معًا في بوتقة حضرية كانت بمثابة إطار لها.

[2]- Allen, James de Vere: Swahili culture and identity, seminar paper, University of Nairobi, 1976, pp: 17-19.

[3]-Robineau, C : L'Islam aux Comores, une étude d'histoire culturelle de l'ile d'Anjouan, dans : P. Vérin (dir. publ), p :39-56.

بناء على ما سبق ذكره، نستنتج أنه ما بين القرنين السابع والثامن عشر الميلاديين، انتشر الإسلام وترسّخ في أجزاء واسعة في إفريقيا جنوب الصحراء، ولم تكن هذه العملية متماثلة في جميع أنحاء القارة، حيث اختلفت الأساليب والطرق والوسائل المستخدمة وتباينت من منطقة إلى أخرى. فنجد في منطقة وسط إفريقيا ، والتي تعتبر منطقة هامشية بالنسبة لتاريخ الإسلام وأثره في إفريقيا جنوب الصحراء، فقد كان للعرب المسلمين والسواحيليين دور بارز في نشر الإسلام في تلك الأصقاع ، ولكن الأثر الإسلامي كان ولازال ضعيفا هناك ، فنسبة المسلمين مثلا في منطقة البحيرات الوسطي والتي تعتبر من أكثر المناطق تأثرا بالإسلام لا تزيد عن 10بالمائة من جملة السكان، وهناك من يري أن البرتغاليين الذين جاءوا إلي منطقة نهر الزمبيزي في القرن السادس عشر الميلادي، هم الذين أزاحوا الأثر الإسلامي من تلك الجهات ، فمثلا ازالوا المستوطنات العربية المكونة من عدة آلاف في " سنا" sena علي نهر الزمبيزي وقد ظلت تلك الآثار الإسلامية كامنة في القرن التاسع عشر الميلادي، حينما بدأ التجار العرب يجددون نشاطهم وصلاتهم مع تلك الأماكن يشهد على ذلك نشاطهم التجاري في منطقة "مانيما" في شمال شرقي جمهورية الكونغو، وإقامتهم لمركز تجاري استيطاني بالقرب من شلالات ستانلي، ومراكز أخري قرب بحيرة ألبرت في حوالي عام 1889م.[1]

وواضح إذا أن انتشار الإسلام في مناطق شرق القارة، وغربها ووسطها كان انتشارا سلميا يقوم على القدوة والمثل الطيب الذي يضربه التاجر المسلم، او الداعية المسلم، أو المهاجر المستوطن المسلم لأهالي المناطق التي ينزلونها. وكذلك نلاحظ ظروف البيئة الطبيعية والمناخ أثرا على انتشار الإسلام في تلك الجهات الإفريقية، فقد اجتاز التجار المسلمون وغيرهم الصحراء وتوغلوا في منطقة السافانا، ولكنهم لم يتمكنوا من

[1]-James Kritzeck and W. H. Lewis(eds): op, cit, pp: 7-8.

اقتحام حزام الغابات الاستوائية، فتوقفوا عندها، وتوقف انتشار الإسلام هناك، واستمر هذا الوضع حتى مجيء القوى الاستعمارية الأوروبية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

ويمكن بشكل عام أن نميز الأنماط التي انتشر بها الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء كما يلي:

- أنشطة المسلمين التجارية(التجارة عبر المسافات البعيدة، التجارة الإقليمية، التجارة عبر البحار).

- علماء الدين المسلمين والفقهاء

- الاستيطان العربي(هجرة الأسر العربية، البدو العرب)

- جهود الحكام المحليين الأفارقة، خاصة في السودان الغربي والأوسط كملوك غانا، مالي، سنغاي ، ونضيف إلى ذلك أنه كان للهجرات والتحركات القبلية دورها المهم في ذلك تدخل الإسلام في إفريقيا، وتلك الهجرات هي أما هجرات خارجية جاءت إلي إفريقيا من الخارج مثل الهجرات العربية إلي مصر والشمال الإفريقي، وهجرات إلي سواحل البحر الأحمر ، ومنطقة السودان النيلي وشرق إفريقيا وكلها هجرات تمت بسبب قرب الجزيرة العربية الجغرافي من تلك الجهات، فهناك هجرة قبائل بني سليم وبني هلال في القرن الحادي عشر الميلادي لشمال إفريقيا، والتي واضطرت السكان المحليين الأمازيغ إلى الهجرة جنوبا، مما نتج عنه انتشار الإسلام في المناطق الجنوبية من الصحراء، وفي السودان الغربي والأوسط فيما بعد. وهناك أيضا هجرة الهنود والباكستانيين والفرس من شبه القارة الهندية والخليج العربي إلى شرق إفريقيا ثم إلى جنوبها وجزر المحيط الهندي.

وهناك الهجرات الداخلية من مناطق إفريقية إلى أخري والتي من أهمها هجرات البربر إلى الصحراء والسودان الغربي، حيث اختلطوا بالسكان الأفارقة ونشروا الإسلام،

كما بنوا مدنا إسلامية مثل ولاته، وتمبكتو التي تحولت إلى مراكز إشعاع وحضارة إسلامية، ومن تلك الهجرات الداخلية هجرة قبائل الفلاني التي قدمت من الغرب واستقرت في مناطق الهوسا في شمالي نيجيريا الحالية، وقامت بنشر الإسلام في حماس بالغ زمن ازدهار دولتهم (الخلافة الصكتية) في القرن التاسع عشر الميلادي بفضل جهود الشيخ عثمان دان فودي مؤسس الحركة الإصلاحية هناك، والتي قضت على الوثنية ، ومظاهر الانحراف التي طرأت على الإسلام الصحيح واستطاع توحيد المنطقة في دولة إسلامية واحدة شملت رقعة واسعة من بلاد السودان الغربي والأوسط، وظلت مزدهرة وقائمة حتى مجيء الاستعمار البريطاني التي قضى عليها في أوائل عام 1903م.[1]

والإسلام كدين شامل قدم حلولا اجتماعية واقتصادية وثقافية للمجتمعات الإفريقية التي كانت تعاني من التفكك، وساهم في تطوير النظام التعليمي والقضائي. ولهذا السبب كان تحوّل وتعلق الحكام المحليين به، حيث وجدوا فيه حلا لإقامة رابطة دينية تجمع بين مختلف العشائر والأعراق، وزاد اتساع إمبراطوريتهم من صعوبة إدارة أقاليمها إدارة فعّالة، وبذلك أصبح من الضروري الاستعانة بالكتبة المسلمين الماهرين وغيرهم من الأشخاص المتعلمين للعناية بشؤون الدولة. وهو الأمر نفسه الذي اتبعته الإدارة الاستعمارية فيما بعد، حيث وجدوا في المسلمين، وجهازهم الإداري والقضائي والتعليمي المتقدم ركيزة من الركائز التي اعتمدت عليها إدارتهم للمستعمرات.

1- Ali, Mazrui: African Islam and competitive Religion Between Revival can and Expansion, Third world QUAINTLY, vol.10, No:2, 1988, P. 689.

-المحور الثالث: ممالك السودان الغربي (غانة، التكرور، سنغاي، مالي) (3 محاضرات)

1 – مملكة غانا:

كانت هذه المملكة تضم في وقتنا الحالي في ذروة مجدها مع نهاية القرن الحادي عشر الميلادي جنوب موريتانيا وشرقي السنغال وجزء من مالي وربما غينيا الفرنسية (كوناكري)، أي المنطقة السودانية السهلية من المحيط الأطلسي إلى بلا آثير مع تغلغلها داخل غابات خليج البنين. ويذكر المؤرخون أن تاريخ تأسيسها يعود إلى سنة 300م،[1] على يد قبائل السوننكة أو ساركوليه، ويسمون كذلك ماراكا(الوانغارا) واسم غانا هو لقب ملوكها ثم أطلق على كل المملكة كما يقول البكري.[2]

ويكمن سر توسّعها في تمكن شعّبها من استعمال الحديد كسلاح، قبل غيره من شعوب السودان الغربي. أما ازدهارها الاقتصادي، فقد قام على التجارة وعلى موقعها الإستراتيجي بين مناجم الذهب في(بامبوك)و(بوري) إلى الجنوب ومناجم الملح في الشمال، وبواسطة التجارة واستغلال مناجم الذهب بلغت مملكة غانا حدا ذا قيمة هامة من حيث الازدهار الاقتصادي.[3]

تجدر الإشارة أن الفئة الأولى من حكام غانا حسب المصدر الإفريقي-تاريخ السودان لعبد الرحمان السعدي- كانوا من العرب المغاربة، حيث يقول في يقول بأن سكان غانا أنفسهم يقولون أن أسرة عربية كانت بيضاء كانت تحكم بلادهم منذ زمن بعيد.[4]

1- حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، القاهرة، دار الفكر العربي، 1986 ، ص2 .

- أبو عبيد الله البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، المطبعة الحكومية، الجزائر، 2 1857، 147-175.

3- حركات إبراهيم: طبيعة العلاقات المغربية مع إفريقيا الغربية في العصر الوسيط، ضمن كتاب- العلاقات بين المغرب وإفريقيا الغربية، الرباط، منشورات جمعية موظفي كلية الآداب بالرباط، 1992 ، ص ص:34-35.

4- عبد الرحمان السعدي: تاريخ السودان، ، منشورات هوداس وبنوا، ميزونوف، باريس ، 1964 ، ص: 9.

وفي المقابل يرى محمود كعت في كتابه تاريخ الفتاش، أن ملوك غانا قد مات منهم عشرين ملكا قبل ظهور الإسلام، وأن واحدا من ملوكهم كان يسمى ب "كيمع"، وآخر ملوكهم لقب ب "كنسعي".[1] وباختصار، تعتبر أسرة السوننكا هم مؤسسي مملكة غانا، حيث توسعت المملكة في فترة حكمهم وضمت مناطق عديدة من بينها أودغشت عام 990 م والتي اتخذوها عاصمة مؤقتة لحكمهم كما يقول ابن خلدون.[2]

وكان لمملكة غانا جيش قوي حسب البكري الذي يؤكد على قوة فرسان هذا الجيش، رغم أن خيول هذا الجيش قصيرة الطول، و في أوقات الشدة، كان ملكها يستطيع أن يجند مائتي ألف محارب دون صعوبة، من بينهم أربعين ألفا من الرماة.[3] تجدر الإشارة أن بعض الدراسات الحديثة شككت في هذه الأرقام التي ذكره البكري وفي قوة جيش مملكة غانا وبأنه مبالغ فيها كثيرا، كما أن معظم هذا الجيش كان تمركزه في المدن الكبرى كأودغشت وكومبي صالح ومناجم الذهب في الجنوب.

أما عاصمتها (كمبي صالح) فقد كانت (مدينة واسعة الأرجاء- على حد تعبير البكري- ذات أسواق عديدة، تزينها أشجار النخيل الغزيرة، وأشجار الحناء تكاد تبلغ الزيتون في الطول، مليئة بالمنازل الجميلة والأبنية القوية الراسخة).[4]

وبعد أبحاث أثرية استمرت طيلة نصف قرن تقريبا، استطاع العالمان الفرنسيان توماسي وموني سنة 1949 أن يحددا موقع كمبي صالح على بعد حوالي 205 كيلومتر إلى الشمال من مدينة باماكو الحالية و500 كيلومتر تقريبا في الجنوب الغربي من مدينة

---

[1]- محمود كعت: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، تحقيق هوداس ودولافوس، ميزونوف، باريس، 1984 ، ص: 41.

[2]- ابن خلدون، عبد الرحمان: تاريخ ابن خلدون، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، الجزء السادس،1981، ص:26.

[3]- أبو عبيد الله البكري: مصدر سابق، ص:177.

[4]- المصدر نفسه، ص:175.

تنبكتو.[1] وقد قدرا عدد سكانها بثلاثين ألف نسمة، أما قصر الملك فكان يقع في قلعة تحيط بها غابة كثيفة خارج المدينة، ويعيش معه فيها كبار رجال الدولة ويقصد تلك القلعة في كل صباح الموظفون والمضيفون الذين كان جلهم من المسلمين، وكان لهم مسجد خاص قرب الملكي، واثنا عشر مسجدا بالمدينة، وكانوا يتولون أعمال المحاسبة وتسيير الدواوين، كما ذكر ذلك البكري.[2] ومن بين العوامل التي ساعدت هذه المملكة على الاستقرار نذكر ما يلي :

1 - اعتمادها على جيش قوي

2 – تنظيم مداخيل الخزينة

3 – قوة اقتصادها

4 - العدل بين الرعية

وفيما يتعلق بنظام الحكم السياسي، يذكر البكري، أن ملوك غانا(على الاقل في الفترة التي نقل البكري فيها أخبارهم) أن الملك كان يورث الحكم لابن أختهن حيث يقول في هذا السياق "وسنتهم أن الملك لا يكون إلا في ابن الأخت، لأنه لا يشك فيه، أنه ابن أخته، وهو يشك في ابنه".[3] وهي تقاليد وثنية قديمة توارثها ملوك غانا، وانتهت مع الانتشار الواسع للإسلام في أواسط القرن الحادي عشر الميلادي حيث أصبح الملك يورث الحكم لأبنه.

[1]- Thomassy Paul et Mauny raymand : Compagne de Fouilles à Koumbi salah, bulletin de l'institut française d'Afrique Noire, AXIII 195, N°2, P 438 – 468.

[2]- أبو عبيد الله البكري: مصدر سابق، ص:175

[3]- المصدر نفسه، ص ص:177-178.

وفي الوقت الذي بلغت فيه مملكة غانا ذروة مجدها وقوتها، في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي، كانت هناك ثلاث مجموعات عرقية كبرى تسكن فيها:

1- قبائل السوننكة أو ساركوليه، مؤسسي غانا كما ذكرنا سابقا، وهي تسكن أساسا في مقاطعات واغادو وباخونو وكنياغا.

2- قبائل الصوصو[1] في سفوح جبال كوليكورو وكانت عاصمتهم مدينة صوصو[2].

3- قبائل المالنكي أو الماندي أو المندان وهي تقطن المنطقة التي تقع جنوبا بأعالي حوض النيجر بين كنغابا وسيغيري.

وبعد هجوم المرابطين على مملكة غانا عام 1054م، واستيلائهم على مدينة أودغشت -ثاني أهم مدينة في المملكة- عام 1055م بمثابة بداية ضعف المملكة. وفي سنة 1067م، تمكن المرابطون من الاستيلاء على العاصمة كمبي صالح في حملة عسكرية كبيرة، وقد نتج عن هذه السيطرة انتشار الإسلام بشكل واسع في مملكة غانا. والجدير بالذكر أن المرابطين لم يمكثوا طويلا في كمبي صالح بل انسحبوا تاركين الحكم بيد ملوكها السابقين، لكن تداعيات هذه الحملة العسكرية كانت خطيرة على استقرار مملكة غانا، حيث أعلنت الكثير من القبائل والممالك الصغيرة استقلالها عن غانا.[3]

أما السبب المباشر الذي أدى إلى سقوط هذه المملكة فقد تمثل في هجوم قبائل الصوصو مع مطلع القرن الثالث عشر الميلادي عليها، حيث استولى ملك الصوصو

---

[1]- الصوصو قبائل وثنية، وهم فرع من الفولانيين، وبعض المصادر تقول هم فرع من قبائل المالنكة، والفرق الوحيد بينهم هو أن قبائل الفولان والمالنكة وملوكهم ناصرو الإسلام في حين أن الصوصو تميزو بعدائهم الشديد للاسلام وتمسكهم بعادات الاجداد، هاجرو من بلاد التكرور، ويشكل طبقة حاكمة في ولاية- كانياجا التابع لإمبراطورية غانا، حيث داوموا على دفع الجزية للسلطة المركزية لمدة طويلة، وبعد فتح المرابطين لغانا عام 1076 ، أعلن الصوصو استقلالهم وشرعوا في التوسع حتى انتزعوا ولاية ديارا من غانا في نهاية القرن 12 م، ليدخلوا عاصمة إمبراطورية غانا كومبي صالح سنة1203 م. أنظر/ أنس بوسلام: إمبراطورية غانا :دراسة في التاريخ السياس ي وبنية الحكم والتنظيمات، مجلة مدارات تاريخية، دورية دولية محكمة ربع سنوية، المجلد الأول – العدد الرابع – ديسمبر2019 ، ص:176.

[2]- تقع في مدينة كوليكورو، في الجبال على بعد حوالي 80 كلم شمال مدينة باماكو، والمدينة هي التي أعطت اسمها للشعب.

[3]- المرجع نفسه، ص: 173.

سومانجور على العاصمة كومبي صالح سنة 1203م.[1] وبسقوط العاصمة تنتهي مملكة غانا التي دام حكمها للمنطقة فترة طويلة.

2- مملكة التكرور:

ويعرفون بأسماء مختلفة منها التوكولور أو الساراكولي، ويعد هذا الشعب من أقدم الشعوب السودانية وأشهرها، وقد تحررت من هيمنة غانا منذ أواسط لقرن الحادي عشر الميلادي. ومملكة التكرور مما كان يثير حفيظة ملك مالي منسى موسى ويصر على تصحيح هذا الأمر أمام ملوك مصر. ويؤكد لهم أن مملكة التكرور لم تكن إلا جزء من أجزاء الإمبراطورية المترامية الأطراف. ومن الممكن أن الشهرة التي اكتسبتها هذه المملكة تعود إلى الأسبقية في اعتناق الدين الإسلامي من بين كافة شعوب المنطقة، وقد ساهم ملكهم ورد جابي -الذي اعتنق الإسلام منذ أواخر القرن الحادي عشر الميلادي أي قبل فتح المرابطين للمملكة غانا الوثنية- مساهمة نشطة في الجهاد الذي أعلنه المرابطون على غانا.[2] وأصبحت لهم السيادة على نهر السنغال ومناجم الذهب في غالام كما ذكر البكري بأنها كانت مملكة قوية ولها نفوذ كبير نهر السنغال الذي كان صالحا للملاحة، حيث كان طريقا مناسبا للتجار التكرور للتغلغل لمقايضة الملح بالذهب.

كما أن تحالف رئيس تكرور مع يحي عمر اللمثوني ضد قبيلة جدالة هذه الأخيرة لعبد الله بن ياسين عام 1057، يحيلنا على عمق الروابط التي تجمع بين تكرور ولمتونة، وإذا كنا نستبعد بحكم هذه العلاقة، أن تكون لقبيلة متونة دور في إسلام أهل التكرور، فإننا نعتقد أن دور جدالة في هذه القضية شكل العامل الحاسم، ذلك بالنظر لتجاوز لبلاد التكرور وتفاعلهما اقتصاديا وبشريا.

---

[1]- نفسه، ص:174.

[2]- أبو عبيد الله البكري: مصدر سابق، ص ص:158-173.

وباختصار، فإن مملكة التكرور المسلمة شكلت إحدى الوحدات السياسية الهامة في بلاد السودان الغربي لا تقل شيء عن مملكة غانا على المستوى السياسي، وقد كان لها دور هام في نشر الإسلام بين قبائل الماندينغ عندما بلغت أوج ازدهارها في أواخر القرن الحادي عشر ومنتصف القرن الثاني عشر الميلادي، وكان لها دور حضاري واقتصادي كبير- على الأقل قبل بروز قبل بروز امبراطورية مالي- ولاسيما في نطاق حوض السنغال.

3- مملكة سنغاي:

تأسست مملكة سنغاي في القرن السابع الميلادي، واستمرت تقوى باستمرار وتتوسّع حتى القرن السادس عشر الميلادي، وقد أقامت علاقات في وقت مبكر مع شمال إفريقيا، واستقدم ملوكها الذين اعتنقوا الإسلام أوائل القرن الحادي عشر الميلادي فقهاء وتجارا من المغرب العربي.[1]

وقد أصبحت مدينة غاو هي العاصمة منذ القرن الحادي عشر الميلادي، وقبل ذلك كانت عاصمة المملكة هي مدينة كوكيه على نهر النيجر الأدنى بين غاو الحالية وتيلا بيري، وهي لا تبعد عن غاو سوى بحوالي 150 كيلومتر جنوبا.[2] وقد حكمت سنغاي في البداية عائلة ضياء، وهي عائلة يعتقد أنها قدمت من منطقة طرابلس الحالية وفيها كانت تتزعم قبائل لمته وهوارة، ثم انتقلت هذه القبائل وسكنت جهات النيجر في زمن قديم، ومنها انحدرت عائلة ضياء هذه وهي التي حكمت سنغاي حتى سنة 1335م.

والجدير بالذكر أن الحكم انتقل بعدها إلى عائلة سني التي حكمت مملكة سنغاي ما بين 1335م و1493م. وعائلة سني هي فرع من عائلة ضياء الأمازيغية الطرابلسية،

---

[1]- عبد الرحمان السعدي: مصدر سابق، ص:5.

[2]- المصدر نفسه، ص ص: 36-37.

السابقة الذكر، وقد تولت الحكم عندما استقل بسنغاي علي كلن سنة 1353م وفصلها عن مالي ، إذ أن إمبراطورية مالي في أيام توسعها كان سلطانها قد شمل بلاد سنغاي منذ سنة 1325م ، فلما كانت سنة 1335م استقل علي كلن بسنغاي عن مالي تحت اسم سني علي، وكان قبل ذلك يعيش في قصر إمبراطور مالي، حيث أنه كان قد أخذ كرهينة. وعليه، كان ذلك دليلا ماديا على خضوع أسرة ضياء لسلطان مالي على عاداتهم في ذلك الوقت.[1] واتسعت إمبراطورية سنغاي أكثر خلال عهد الأسقيا الحاج محمد الكبير الذي أنهى حكم آل سني بثورة قام بها سني علي مباشرة سنة 1493م. ويعتبر تسلم الأسقيا الحاج محمد الكبير(1492-1528) عرش سنغاي بداية عهد انتظام واستقرار المملكة وبداية حكم التكروريين في البلاد. لقد حرص ملوك سنغاي الأسقيين[2] على تمكين شعبهم من الإسلام والثقافة الإسلامية وأصبحت البلاد في عهدهم ذات ارتباطات وثيقة بالعالم الإسلامي وخاصة بلدان المغرب العربي ومصر والحجاز.

أما فيما يتعلق بعلاقتهم بسكان الصحراء وخاصة الطوارق الذين كانوا الأسياد في طمبوكتوا ابتداء من سنة 1413، ولما استولى طوارق مغشرن على طمبوكتو سنة 837هـ/1433م وتولى أكيل Akil سلطانا على الطوارق بقوا على حالهم في سكنى البراري وفوض أمر طنبكتو إلى : " تنبكت كي محمد نض " وهو صنهاجي بنى المسجد بها وجعل الولي الفاضل سيدي يحي التادلسي إماما فيه ولما توفي " محمد نض " عين

---

[1]- نفسه، ص:72.

[2]- الذين خلفوا أبيهم الأسقيا الحاج محمد الكبير وهم كالتالي: الأسقيا موسى(1528-1931)، الأسقيا محمد الثاني(1531-1537، الأسقيا إسماعيل(1537-1539)، الأسقيا إسحاق الأول (1539-1549) ، الأسقيا داود(1549-1583)، ثم انتقلت الخلافة لأبناء داود وهم: الأسقيا الحاج محمد الثالث(1583-1586) ، محمد الرابع(1586-1588)، إسحاق الثاني(1588-1591)، وأخير محمد كاغ 1592. أنظر للمزيد من التفاصيل/ عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين(1493-1594)، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971، ص-ص:31-55.

أكل ابنه الأكبر عمر، وكان فاسقا ظالما فعزله أكل وحكم هو مكانه، فأراد تنبكت كي عمر بن محمد نص الإنتقام منه فأرسل إلى سني علي يحرضه على غزو طمبوكتو وأن بها مالا كثيرا، فجاء سني علي الجيوشه، مما اضطر أكل إلى الهرب مع فقهاء سنكري بألف جمل إلى بلاد بير (ولاتة) ودخل سني علي على طمبوكتو نخر بها ودمرها وعاث فيها فسادا سنة 1469 وقتل فيها أناسا كثر من العلماء والفقهاء، مما أجبر الكثيرين فيما بعد بالخروج إلى بير (ولاد) وهرب الكثير إلى تجبرة من الفقهاء فأتبعهم تنبكت كي المختار بن محمد نض (أخو عمر بن محمد نض) فعمل السيف فيمن بقي منهم هناك بحجة أنهم ما توجهوا إلى تلك الناحية إلا ليستغيثوا بالطوارق ويأتوا بهم لأجل الإنتقام منه. [1]

وبين 1500و 1504م توجه الأسكيا محمد نحو غزو الآيير الذي وصله بإجتياز الأزواغ، وخلال هذه الحملة وبمساعدة ستة 6 جيوش نتيسوم Nteçum، تجيدا Tigguida، تيجيدة تاغيت Tigguida Tagait، وأزليك Azalik وهزموا طوارق إبنو سفن Inoussoufane [2]، وسحقوا نهائيا تحالف وتكتل هذه القبائل في 1504 وإثر هذه الغزوة ترك سلطان سنغاي 6 مرابطين لتعليم الطوارق الإسلام وتمكينه في المنطقة، كما غزا الأسكيا الحاج محمد بلاد الآيير سنة 1006هـ/1597م والذي مكث في الحكم 36 سنة و6 أشهر ولما تولى إبنه عثمان درفن ابن بكر كرن كرن أمر شأن الإمبراطورية، بعث إليه سلطان مراكش مولاي، حمر الكبير أن يسلم له أمر معادن تغازة فرد عليه بالجواب : " أن أحمد الذي سمع ليس هو إياه، وأن إسحاق الذي سمع ليس أنا إياه مازال ما حملت به أمه " [3]، ثم أمر بـ 2000 فارس من الطوارق أن يغزو على سوق

[1] عبد الرحمان السعدي: مصدر سابق، ص ص 23-66.

[2] Boubou Hama, Recherche sur l'histoire touaregs saharienne et soudanaise, Presence africaine,France ,1967 p183.p 203.

[3] عبد الرحمان السعدي: مصدر سابق، ، ص 100.

بلاد درعة القريبة من مراكش دون إرهاق روح، ففعلوا وأخذوا كل ما في ذلك السوق، وهذا يرى السلطان قوته.

هذه الحادثة تدل على أنه توجد عدة قبائل من الطوارق منضوبة تحت حكم الأسكيا وسلطانه يأمرهم فيأتمرون إلا أن هذا لا يعمم على كامل قبائل الطوارق وإنما على القبائل الغربية منه فقط وكان الأسكيا داوود إذا نادى للغزو ويجب أن يأتي جيش من الطوارق مكون من 12 ألف جندي وهي عادة جارية بينهم وهذا ما حدث في غزوة ضد بلاد أترام Attaram [1] جهة المغرب سنة 978هـ/1570م، إذ جاءه من سلطان أهل نان Kel Nan الحاج محمد بير بن محمد الليم بن اكلنص بـ 12 ألف جندي كون جيشا من 24 ألف جندي وفار على العرب الذين في تلك المنطقة. [2]

تجدر الإشارة أن المملكة دخلت في طور الضعف نتيجة اهتمام الأمراء الأسيقيين المتأخرين في المنازعات العائلية التي أعاقتهم عن الاهتمام بشؤون المملكة وخدمة البلاد، كما كلفت الخزينة مصاريف باهظة، أضعفتها، وقد رافق ذلك انقسام في الآراء والاتجاهات بين السنغائين، نتجت مباشرة عن ذلك النزاع المستمر على الحكم بين الأساقي، فكان لكل واحد منهم أنصار وأتباع بين أهل سنغاي، فنشأت عوامل التصدع في الرأي، وكان ذلك من أبرز مظاهر الضعف الذي استمر ينخر في جسم المملكة و يسير بها نحو الهاوية، حتى نهاية القرن السادس عشر، بعد أن تمكنت الحملة العسكرية المغربية التي قادها أحمد المنصور الذهبي بالقضاء عليها سنة 1591م.[3]

[1] بلغة التامشاغ وتعني أهل الغرب.

[2] عبد الرحمان السعدي: مصدر سابق، ص 109.

[3]- راجع للمزيد من التفاصيل: الحواس غربي: السيادة السعدية بالبلاد السودانية 1591-1660 دراسة سياسية عسكرية، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، 2008-2009.

تجدر الإشارة أن المصادر التاريخية اختلفت حول الدوافع الحقيقية وراء الغزو المغربي للملكة سنغاي. حيث تشير بعض الدراسات المعاصرة أنه بعد اعتلاء مولاي أحمد المنصور عرش السعديين بعد انتصاره على البرتغاليين في معركة وادي المخازن عام 1578م، طمح، بوصفه خليفة وإماما وأميرا للمؤمنين، إلى جمع المسلمين في أسلوب تفكير واحد، والى رد الحياة إلى روح الجهاد، غير أنه تبقى الدوافع الحقيقة لعلمية الغزو هو الحصول على الذهب والعبيد من السودان والسيطرة على مناجم الملح.

تجدر الإشارة أن السنغاي بعد أن انسحبوا من غاو إلى دندي، استمروا في مقاومة المغاربة، غير أنهم فشلوا، بعد المعارك التي أسفرت عن سلسلة من الهزائم في الحفاظ على استقلالهم. ونجح المغاربة بعدها في السيطرة على دندي وتعيين أسّكيا ظل تحت سيطرتهم حتى وفاة المنصور. وبالرغم من هذا حافظ السنغاي على حريتهم حتى بداية القرن التاسع عشر الميلادي، وذلك على الرغم من الضغط الشديد الذي مارسه قبائل الفولبة والطوارق والمزارعين البمبارا.

4- إمبراطورية مالي:

شكلها شعب الماندانغ الذي اعتنق الإسلام في وقت مبكر من القرن الحادي عشر الميلادي[1]. وشملت في وقتنا الحالي جمهورية مالي، شرق السنغال وشمال كل من غينيا كوناكري، بوركينافاسو والبنين والجنوب الأقصى من جمهورية موريتانيا. وكان شعب الماندانغ خاضع لسلطة مملكة غانا إلى غاية سقوطها في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي. ابتداء من هذا التاريخ بدأ توسّع إمبراطورية مالي[2] (مالل أو ملال أو مالي

[1]- يقول البكري بأن ملكها اعتنق الإسلام قبل سقوط مدينة كومبي صالح على يد قبائل الصوصو الوثنية.

[2]- البكري هو أول من ذكر لفظ مالي والتي سماها مالل في القرن الحادي عشر الميلادي حيث يقول" كانت قبالة هذه المدينة على الضفة الأخرى من لنهر السنغال، مملكة عظيمة ويدعى ملكها دوو. ويخرج أهلها إلى القتال بالسهام، ويوجد وراء هذا البلد بلد آخر يسمى ملال يطلق على ملكه لقب المسلماني. راجع للمزيد من التفاصيل/ أبو عبيد الله البكري: مصدر سابق، ص:178.

التي تعنينا هنا تطلق على النواة الأصلية التي سينطلق منها المالنكة لتأسيس إمبراطورية مالي) في كل السودان الغربي. ومن أشهر ملوك مالي سونجاتا كيتا[1] الذي تصدى لقبائل الصوصو الوثنية وهزمهم في معركة كيرينا[2] الشهيرة عام 1235م.

تجدر الإشارة أن سونجاتا كيتا أخضع في فترة حكمه معظم الأقاليم التي كانت تحت سلطة مملكة غانا سابقا. منها الجولوف، حلفاء الصوصو سابقا، حيث هزم ملكهم منسا وأخضع بعدها منطقة السنغال زغمبيا والكازامنس والكابو التي تقع في أعالي غينيا بيساو الحالية. كما تمكن قائد جيشه المحنك كولي كوروما من السيطرة على المناطق الجنوبية المتاخمة للغابة الاستوائية وغزا أعالي نهر السنغال، كما واصل أبناءه وقادة جيشه فيما بعد توسيع الإمبراطورية وضم غاو والتكرور.[3]

وبعد أن استقر حكمه اختار نياني الواقعة على نهر سنكاراني(شمال شرق غينيا كوناكري حاليا) عاصمة لإمبراطوريته ووطنا مشتركا لكافة الشعوب. وكانت مدينة نياني

---

[1]- تولى العرش في إمبراطورية مالي قبل الملك سونجاتا كيتا 20 ملكا. وسونجاتا (1230-1255)حسب ابن خلدون كان أعظم هؤلاء الملوك، وهو الذي هزم قبائل الصوصو الوثنية في معركة كيرينا الشهيرة واحتل مدينتهم. وكان يسمى ماري دجاتا(ماري تعني في لغتهم أمير ودجاتا تعني الأسد) عاش طفولة صعبة وظل مقعدا لفترة طويلة، هاجر مع والدته وأخوه إلى مدينة كومبي صالح ومنها إلى مملكة ميما، أعجب ملك ميما بشجاعته فوكل إليه مسؤوليات مهمة في المملكة ومنها تمكن من اعتلاء عرش مالي الذي دام حكمه فيها 20 سنة. وتزعم عائلة كيتا- مؤسسة دولة مالي الحديثة-التي يعود نسلها إلى فترة ملوك مالي، أنها من نسل الصحابي الجليل بلال ابن رباح رضي الله عنه أول مؤذن في الإسلام. راجع/

- Monteil, C : les Empires du Mail : étude d'histoire et de sociologie soudanise, BCEH-SAOF,

Maisonneuve et Larose, Paris, 1929, pp :345-346.

[2]- تمكن سونجاتا من توحيد قبائل المالنكة وتكوين تحالف قوي على الضفة اليمنى لنهر النيجر، وكانت جيوش الحلفاء بقيادة سونجاتا مدربة جيدا ومدرعة بالحديد ومتحمسة لشن الحرب على قبائل الصوصو الوثنية التي كان يقودها سومارو. والتقى الجيشان في منطقة كيرينا(لم تتمكن المراجع والدراسات الحديثة من تحديد موقعها الجغرافي) وبالرغم من الدعم الكبير من قبائل الجولوف بقيادة جولوفينغ مانسا، إلا أن سونجاتا تمكن من إلحاق هزيمة ساحقة بالصوصو ولاحقهم حتى منطقة كوليكورو وبعدها إلى مدينة صوصو التي دكها دكا وتمكن من تحقيق نصرا عسكريا كبيرا، وكان السحر والتمائم ملازما لهذه المعركة. وقد مهد هذا النصر لعائلة كيتا بتوسيع مساحة إمبراطورية مالي وانتشار الإسلام في المنطقة. راجع للمزيد من التفاصيل/ جبريل ت. نياني: مالي والتوسّع الثاني للماندانغ، تاريخ إفريقيا العام، الجزء(4)، مطبعة حسيب دورغام وأولاده، لبنان، 1998، ص-ص:143-144.

[3]- المرجع نفسه، ص:144.

ذات موقع استراتيجي هام، محصنة طبيعيا بوقوعها على ضفاف نهر سنكاراني، تحيط بها مرتفعات صخرية، كما أنها كانت محاذية للغابة الكثيفة مصدر الذهب والحديد والكولا وزيت النخيل، وبعد توسعها ونموها أصبحت مركزا تجاريا تقصده القوافل التجارية والتجار الزنوج والمغاربة. وقد اختلفت الروايات في وفاة الملك العظيم سونجاتا والأرجح أنه توفي غرقا في نهر سنكاراني في ظروف غامضة.[1]

واحتلت إمبراطورية مالي بعد سونجاتا أهمية سياسية واقتصادية كبيرة بالنسبة للعالم الإسلامي ولاسّيما في القرن الرابع عشر الميلادي. ولهذا فقد حافظ أبناءه فيما بعد(أهمهم مانسا أولين) على تماسك الإمبراطورية والجيش وواصلوا الفتوحات والغزوات، وخلفه على العرش فيما بعد ملوك ضعفاء، إلى أن آل الحكم في عام 1307 إلى أحد أبناء إخوة سونجاتا وهو كنكن موسى المعروف باسم مانسا موسى الأول (1307- 1332) حيث اتسعت الإمبراطورية أثناء حكمه لتشمل مقاطعة ولاتة وتمبكتو وغاو وبلغت مالي تحت حكمه ذروة عظمتها.[2]

ونظرا لأهمية هذه المملكة، أخذت القوافل التجارية تفد عليها من كل بلدان شمال إفريقيا، كما كانت لها علاقات دبلوماسية مع فاس ومراكش وربطت صلات تجارية مع البرتغال والمدن التجارية الإيطالية. [3]

وفي عام 1324 حج منسى موسى إلى مكة المكرمة، ومر في طريقه إلى الحج بالقاهرة، حيث وزع الذهب بالقدر الذي أدى إلى انخفاض المعدن النفيس لوقت

---

[1]- جبريل ت. نياني: مرجع سابق، ص ص: 147-149. وراجع أيضا

-Delafosse, M : Traditions historiques et légendaires du Soudan occidental, traduites d'un manuscrit arabe inédit), AFRCD, 1913, p :187.

[2]- صلاح الدين المنجد: مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1982، ص: 122.

[3]- صلاح الدين المنجد: مرجع سابق، ص: 122.

طويل، أما في مكة فقد انفق عشرين ألف قطعة من الذهب. وعند عودته من الحج اصطحب معه الشاعر المهندس أبا إسحاق الطونجق الذي أدخل الطراز الأندلسي إلى مالي ببنائه المساجد في تمبكتو ونياني. ووصفه المقريزي بقوله "...كان شابا أسمر البشرة، حسن الهيئة، عالما بفقه المالكية، وكان يبدو بين صحبه حسن الهندام مطهم الجواد، وفي معيته ما يربو على العشرة آلاف من رعيته، وقد حمل من الهيبات والهدايا ما يدهش الرائي لروعته".[1]

وفيما يخص علاقة امبراطورية مالي بالطوارق فالمعروف أن مالي استولت على مدينة طمبوكتو من طرف منسا موسى بعد أن أسسها الطوارق ودام حكمهم فيها 100عام إلى أن استعادها منهم الطوارق من جديد وحكموا فيها 40 سنة حتى مجيء سني علي ملك مملكة سنغاي، وكما سبق ذكره فإن مالي لم تصل إلى مناطق سكنى الطوارق في الشمال من الآيير، لذا يمكن أن نعتبر أن علاقة الطوارق بإمبراطورية مالي اتسمت بالهدوء في الكثير من الأوقات عدا بعض الهجمات من الطوارق على طمبوكتو أو قطع طرق التجارة المارة من غات إلى طمبوكتو.

وقد يعود هدوء العلاقات بين الطرفين ربما لأن إمبراطورية مالي لم تحاول ضم مناطق الطوارق إلى سلطتها ومن جهة أخرى للظروف التي كان يعيشها الطوارق خاصة في منطقة الآيير أين كانت قبائل الطوارق تحاول أن تتقارب فيما بينها وتتوحد في شكل سلطة واحدة أدى بهم إلى عملية البحث عن سلطان لهم يوحدهم ويكون حكما لفض النزاعات فيما بينهم تمهيدا لمشروع سياسي كبير تمثل في قيام سلطنة الطوارق المعروفة بسلطنة الآيير، في بداية القرن 15 الميلادي والذي تزامن وسقوط إمبراطورية مالي لفائدة المملكة الناشئة صنغاي.

---

[1]- جبريل ت. نياني: مرجع سابق، ص ص: 160-161.

ويتفق المؤرخون بأن سكان إمبراطورية مالي من أكثر زنوج إفريقيا رقيا وأمهرهم في الصناعات التقليدية وأشهرهم تمسكا بالإسلام. وبلغت مدينتا جني وتمبوكتو شأنا عظيما في التطور الفكري والثقافي والعمراني. وقسم سلاطين مالي دولتهم إلى أقاليم ومقاطعات، وشجعوا زراعة القطن ونظموا جباية الضرائب على الصادرات والواردات مما سمح للدولة أن تؤسس جيشا قويا توسع إلى الشرق حتى وصل إلى بحيرة تشاد وتوسع غربا حتى وصل إلى المحيط الأطلسي.

ومع نهاية القرن الرابع عشر الميلادي بدأت السلطة المركزية للإمبراطورية في الضعف، حيث كانت مع الموازاة مع ذلك تنمو في الحوض الأدنى لنهر النيجر قوة جديدة هي مملكة السنغاي التي حلت محل إمبراطورية مالي في كافة أقاليمها الشمالية.

تجدر الإشارة أن إمبراطورية مالي تعرضت كذلك لهجمات البرتغاليين الذين كانوا يسيطرون على سواحل خليج غينيا. حيث تشير المصادر التاريخية أنه بعد عام 1495م، كانت هناك علاقات بين مالي ومملكة البرتغال، واستقبل ملك مالي سفارتين للبرتغال. ومن هذا الباب بدأت البرتغال تتدخل في شؤون ممالك غرب إفريقيا وتغذي النزاعات العرقية، وخاصة تشجيع الرؤساء الصغار على التحرر وعصيان ملك مالي، وحاول آخر ملوك مالي المانسا محمود الرابع إنقاذ الإمبراطورية من الانهيار بعد أن خاض آخر معاركه عام 1599 ضد المغاربة في جني. ولكنه مني بهزيمة كبرى وفشل في استرجاع أهم مركز تجاري في غرب إفريقيا آنذاك. [1]

وقد تسببت هذه الهزيمة في هجرة الكثير من قبائل الماندانغ(مؤسسي مالي) نحو الجنوب والجنوب الشرقي، وسيؤسسون مراكز تجاري كبرى على حافة الغابة الاستوائية، وسيعتمد عليهم ساموري توري في القرن التاسع عشر في بناء دولته

[1]- عبد الرحمان السعدي: مصدر سابق، ص: 279.

الإسلامية.[1] وأصبحت إمبراطورية مالي في منتصف القرن 17 م مجرد مملكة صغيرة وورثتها مملكة سنغاي بأرضها ونظمها المدنية والعسكرية وخلفتها في أداء دورها الحضاري.

-المحور الرابع: ممالك السودان الأوسط (كانم-بورنو، ممالك الهوسا) (محاضرتان):

1 - مملكة الكانم بورنو:

قامت مملكة الكانم بورنو في المنطقة المحيطية ببحيرة تشاد ونهر الكانوري والتي تشملها اليوم جمهورية تشاد وجزء من شمال نيجيريا، شكلها شعب (البولالا) قبل مجيء الإسلام، ووصول الإسلام إلى هذه المنطقة في وقت مبكر، وفي القرن العاشر الميلادي كانت هذه المملكة قد أسلمت كليا. وينسب ملوك كانم-بورنو(ملوك السيفيين)[2] أنفسهم إلى سيف بن ذي يزن اليمني. وكانت جيمي مقرا للملوك السيفيين لمدة ثلاثة قرون إلى غاية القرن الرابع عشر الميلادي عندما تركوها مكرهين.[3]

وقبل تكوين شعب الكانوري، كان ملوك كانم يعتمدون في حكمهم على قبائل مختلفة، وكانت لغاتهم نيلية صحراوية، وتختلط بسكانها قبائل عربية وبربرية من أهمها قبائل بني سليمان والشوا الذين نزحوا في وقت لاحق إلى هذه البلاد من وادي النيل ومن شمال الصحراء، كما أن قبائل التوبو والكانوي والزغاوي الذين يرجع الرواة إليهم أصل تأسيس النواة الأولى لإمارة الكانم قبل اتحادها مع إمارة البورنو ربما يكونون قد هاجروا من منطقة فزان في الجمهورية الليبية حاليا ومن الصحراء الكبرى شمالا، ويبدو

---

[1]- المصدر نفسه، ص:21.

[2]- كان إقليم كانم قبل منتصف القرن الحادي عشر الميلادي خاضعا لسيطرة قبائل الزغاوة. وانته سيطرتهم بمجيء أسرة السيفيين التي أخذت هذا الاسم لزعمها الانتساب إلى الزعيم اليمني سيف بن ذي يزن.

[3]- ديرك لانجي: ممالك التشاد وشعوبها، تاريخ إفريقيا العام، الجزء(4)، مطبعة حسيب دورغام وأولاده، لبنان، 1998، ص ص: 248-255.

أن منطقة الكانوري وبحيرة تشاد كانت من القديم ملتقى امتزاج سكاني متنوع ولذلك نتج عن هذه الوضعية في معظم العصور حروب متوالية.[1]

وقد دخلت مملكة الكانم بورنو فترة التوسّع والقوة في أيام السلطان عبد الجليل سيما(1195-1220) الذي قام بفتوحات متوالية ابنه روناما الأول(1221-1259) فامتد نفوذه إلى كل من فزان ووداي.

وساهمت التجارة كثيرا في تطور ونمو مملكة كانم ولاسيما أنها كانت تقع في منطقة إستراتيجية بالنسبة للقوافل التجارية التي تربط بين بحيرة التشاد والبحر الأبيض المتوسط. وكان لمجموعة واحات فزان وكوار أهمية بارزة للتجارة عبر المسافات الطويلة. فهي تقع عند ملتقى طريقين من أكبر الطرق التجارية في غرب إفريقيا، ولهذا كان السيطرة عليها تسمح بالسيطرة على المبادلات التجارية بين الشمال والجنوب وبين الشرق والغرب.[2]

وكان من الأهداف الرئيسية لملوك كانم وبورنو هو تأمين طريق القوافل بين الشمال والجنوب والسيطرة على المحطات الواقعة على هذا الطريق.

وفي منتصف القرن الثاني عشر الميلادي، حدثت هجرة كبيرة من سكان كانم نحو غرب بحيرة التشاد للاستقرار في إقليم بورنو، وأهمها قبائل التوماغرا والتورا والغاي، وتزايدت الهجرة في فترة حكم إدريس ألاوما Idriss Alamoa (1582–1616)[3] حيث هاجر عدد كبير من قبائل التوبو والعرب بحثا عن المراعي والأراضي الخصبة، وقد

---

[1]- المرجع نفسه.

[2]- ديرك لانجي: مرجع سابق، ص ص: 257-258.

[3]- يتفق معظم الدارسين على أن مملكة كانم بورنو بلغت أوج ازدهارها في عهد إدريس بن علي، الذي أطلق عليه بعد وفاته اسم ألاوما أو علومة(فترة حكمه ما بين 1564-1596)، وكان يعتبر في بلده مجددا في المجالين العسكري والإداري وداعية إلى نشر الإسلام، وفي سياسته الخارجية دبلوماسيا ماهرا لا يقل شأنا عن أبرز الحكام المسلمين في عصره. راجع للمزيد من التفاصيل/ ابراهيم طرخان: مملكة البرنو الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط.1، 1975.

صاحب هذه الهجرة توسع سياسي كبير للمكلة ولم يتوقف إلى غاية مجيء الاستعمار الأوروبي في القرن التاسع عشر الميلادي. وقد زاد أهمية إقليم بورنو في المملكة كثيرا، وكان لا بد لهذه الأوضاع أن تتغير في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي عندما اضطر الملوك السيفيين على اثر غارات قبائل البلاليين العرب أن ينقلوا مقر حكمهم من مدينة جيمي في كانم إلى إقليم بورنو بصورة نهائية.[1]

وتمتاز المملكة عن بقية الممالك الإسلامية في السودان الغربي والأوسط بالاستمرارية حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي حينما احتلها الفرنسيون والانجليز. كما تولى على حكمها أمراء اشتهروا بالعلم من أمثال الشيخ محمد الأمين الكانمي[2] وأبنائه. ومحمد الأمين الكانمي كما تصفه المصادر هو قائد عظيم ومحنك وفقيه، قاوم توسع الفولانيين في محيط بحيرة التشاد.[3]

تجدر الإشارة أن مملكة البورنو بعد القرن السادس عشر الميلادي والى غاية القرن التاسع عشر الميلادي دخلت في تنافس كبير مع الكيانات السياسية المجاورة، ولاسيما مع دولة الخلافة في سوكوتو المجاورة التي كانت في ذروة التوسّع وحركات الجهاد التي كان على رأسها الشيخ عثمان بن دان فوديو وما كانت له من آثار مباشرة على مملكة كانم-بورنو. حيث قاومت هذه الأخيرة وصدت الهجمات التي كانت تتعرض لها، ولكنها فقدت أجزاء من أراضيها، كما فقدت السيطرة بصفة مؤقتة على العاصمة كوكاوا. وحقق الشيخ محمد الكانمي في هذه الفترة انتصارات عسكرية كبيرة، استطاع من خلالها الحفاظ على استقلال مملكة الكانم بورنو.[4]

---

[1]- Weidmann, Berlin :Sahara und sudan: Ergebnisse sechsjahriger Reisen in Afrika, vols 1 et 2, Nachtigal, G-, 1967, p-p:415-447.

[2]- أنظر الملحق رقم 5.

[3]- ابراهيم طرخان: مرجع سابق، ص:134.

[4]- Brenner, L : The Shehus of Kukawa, Clarendon Press, Oxford, 1973, p-p:21-47.

وفي أوائل القرن التاسع عشر الميلادي قسمت المملكة إلى منطقتين سياسيتين إحداهما خضعت للشيخ الكانمي وأعضاء مجلسه، والمنطقة الأخرى خضعت للسلطان دوناما الذي خلفه نجله فيما بعد لسلطان إبراهيم. وترجح بعض المصادر أنه بعد تولي السلطان إبراهيم بفترة قليلة استقرت السلطة بشكل كلي للشيخ الكانمي.[1]

وقد أصيبت مملكة الكانم-بورنو في عهد السلطان عمر الذي خلف والده الشيخ محمد الكانمي بركود كبير. حيث تعرضت في عهده المملكة لغزو وهجمات متكررة من سلطنة وداي، وكذلك للتدخلات المتكررة والمباشرة من سلاطين سكوتو، حيث دخلت المملكة في النصف من القرن التاسع عشر الميلادي في حالة أللاستقرار والعنف السياسي والقضاء على المنافسين والمعارضين، واستمر هذا الوضع حتى مجيء الاستعمار الأوروبي مع نهاية القرن وتقسيم المملكة واحتلالها.

2- ممالك الهوسا:

أخذت ممالك الهوسا الاسم من اللغة المستعملة(لغة الهوسا) باعتبارها لغة أساسية للاتصال، وهي منتشرة في كامل المنطقة الجنوبية من السودان الأوسط. وجغرافيا تقع ممالك الهوسا في المنطقة الممتدة بين هضبة جوس (وسط نيجيريا الحالية)جنوبا وحتى جبال العير(النيجر حاليا) شمالا، ومن نهر النيجر غربا حتى حدود مملكة بورنو شرقا.[2]

وتُرجع المصادر التاريخية أصل شعوب الهوسا للمنطقة الغربية المحيطة بحيرة التشاد، وأنهم استقروا هناك لفترة طويلة من الزمن، حيث كانوا يعيشون على صيد الأسماك وعندما تقلص حجم البحيرة لمستواها الحالي تقريبا، استقروا في منطقتهم ومارسوا

[1]-Ibid.

[2]-Nicolas, G: Fondements magico-religieux du pouvoir au sein de la principauté hausa du Gobir, JSA, N^{e} :39, 2,(pp199-231). 1969, p:202.

الزراعة، ثم توسعوا بعد ذلك نحو الجنوب والغرب. وتجدر الإشارة أن عدة شعوب وعرقيات أخرى ساهموا في تكون حضارة الهوسا كالونقارة(ديولا) والفولاني الذين هاجروا من الغرب، كما هاجر الطوارق من الشمال(منطقة العير).[1]

وتتكون ممالك الهوسا أساسا من عدة دول وإمارات أهمها: كانو، زارية، غوبر، كتسينة وكبي، هذه الأخيرة التي قامت بدور كبير في المنطقة بعد القرن الرابع عشر الميلادي. واختلفت الدراسات البحوث الحديثة حول تاريخ دخول الإسلام وانتشاره وسط ممالك الهوسا، وأنه ربما يكون سابق للقرن الرابع عشر الميلادي، ويرجح أنه دخل من المناطق الشرقية والشمالية وأنه سابق للقرن الرابع عشر الميلادي خصوصا أن ما علمنا أن مملكة الكانم-بورنو كانت مسلمة منذ القرن الحادي عشر الميلادي. أما من ناحية الغرب فيعتقد أنه تأخر إلى غاية منتصف القرن الرابع عشر الميلادي عن طريق الوانقراوة(الديولا) القادمين من مالي. ويشير الباحث غرينبرغ أنه كانت هناك كلمات عربية كثيرة مرتبطة بالدين الإسلامي أُدخلت إلى الهوسا بواسطة قبائل الكانوري.[2]

وقد وصل هؤلاء إلى كانو في عهد السركي(الملك) الصالح ياجي بن ثاميا (1349-1358)، وتمكنوا بمساعدة ذلك السركي(الملك) من نشر إسلام أكثر نقاءً وعلى مستوى أوسع في مدينة كانو وما جاورها. وفي هذا السياق يتحدث أحمد كاني عن إحدى مجموعات الونقريين التي هاجرت إلى بلاد الهوسا في طريقها للحج، وكان فيها حوالي 3630 شخصاً ما بين عالم وقارئ.[3] ويمكننا تصور الأثر الكبير الذي تركته هذه

[1]-Sutton, J.E.G : Towards a less orthodox history of Hausaland:, JAH, N°2, (pp:179-201), 1979, pp:184-185.

[2]- Greenberg, J.H : Linguistic evidence for the influence of the kanuri on the Hausa, JAH, N°1, 2(pp.205-212), 1960, pp:205-206.

[3]- أحمد محمد كاني: الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987، ص 33.

المجموعة في بلاد هوسا من ظهور الخلاوي القرآنية والحوزات العلمية التي أوجدت أرضية خصبة للإنتاج الفكري والثقافي فيما بعد.

وفي عهد السركي يعقوب بن عبد الله برجا (1452-1463) وصلت أربع مجموعات من الوافدين إلى كانو، جاءت كلها بغرض الدعوة وبعضها مع التجارة أيضاً. وأهم هذه المجموعات جماعة الفولاني التي قدمت من مالي ضمن هجرة كبيرة بدأت تحط رحالها عند الأطراف الغربية من بلاد هوسا، على رأسها الشيخ موسى جكلو، الجد الثالث عشر للشيخ عثمان بن فودي. هذا بينما واصلت الهجرة الرئيسية إلى كانو وفيها عدد كبير من العلماء. وقد أجمعت المصادر أن هؤلاء الفولانيين أحضروا معهم كتباً في علم التوحيد والمذهب المالكي واللغة العربية. وبعدها بعدة سنوات بدأت الأفواج العربية التي أشارت إليها رواية "تاريخ أرباب كانو" بـ "الأشراف"، بدأت تتدفق إلى تلك المناطق.[1]

ومن بين هؤلاء العالم الجزائري الشهير محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني الذي وصل إلى كانو قادما من إقليم توات (الجزائر حاليا) في عهد السركي محمد رمفا بن يعقوب (1463-1499) على رأس نخبة من العلماء بعد توقف قصير في بلاط مملكة كتسينة. وتزامن وصول الشيخ المغيلي إلى بلاد الهوسا مع تولي ثلاثة من الملوك في ثلاث من أهم ممالك الهوسا، وهم محمد رمفا في كانو، ومحمد كوراو (وبعده إبراهيم ماجي) في كتسينة، ومحمد رابو في زارية. ويذكر أحمد كاني أن ثلاثتهم اعتنى اعتناءً فائقاً بإحياء الشعائر الدينية ومحاربة الوثنية وإضفاء الدين الإسلامي على النظم السياسية.[2]

---

[1]- المرجع نفسه، ص 35-36.

[2]- نفسه.

ويضيف أن الشيخ المغيلي قد أحضر معه كتباً في الفقه، كما قام بإعداد كتاب خاص لملك كانو بعنوان "تاج الدين فيما يجب على الملوك" اعتبر بمثابة مسودة "دستور إسلامي"، اتخذه الملك أساساً لإعادة تنظيم دواوين دولته.[1]

تجدر الإشارة أن العلماء القادمون من خارج بلاد هوسا ومجموعة العلماء المحليين الذين تتلمذوا عليهم قاموا بدور كبير في نشر الإسلام بين عامة الناس. ولكن مع ذلك ظلت كثير من الممارسات الوثنية سائدة أيضاً وسط عامة الناس وفي بلاط بعض السلاطين الذين أبقوا عادة الاستعانة بالسحرة والمنجمين سبيلاً للتمكن في سلطانهم. ويبدو أن النشاط الدعوي خلال القرن السابع عشر الميلادي حتى منتصف القرن الثامن الميلادي قد تمكن من توسيع رقعة الإسلام. ولكنه بالرغم من ذلك لم يفلح في إيقاف الممارسات الوثنية التي كانت تمارس جنباً إلى جنب مع الإسلام حتى كادت تؤخذ وكأنها من الإسلام نفسه.[2]

وعلى العموم، فقد كان انتشار الإسلام خلال هذه الحقبة مرتبطا أساسا بالنخبة الحاكمة وبالتجار، ولم يكن للإسلام تأثير كبير في غير المدن والمراكز الكبرى. كما يمكن القول أن الإسلام قد اندمج في التركيبة الدينية الإفريقية، لأنه لم يكن يعتبر ديانة أجنبية، خصوصا إذا ما علمنا أن الإسلام كدين شامل كان مؤهلا للتوافق مع مختلف المعطيات العقائدية والعادات التقليدية. في حين كانت نخبة محدودة من العلماء وتلامذتهم يجتهدون في إتباع الشريعة والسنن الإسلامية إتباعا صارما. ومن جهة أخرى ظل غالبية السكان على دينهم التقليدي، مؤمنين بالشعوذة والسحر لمدة طويلة.

---

[1]-نفسه.

[2]- محمد بلو بن فودي: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، دار مطابع الشعب ، القاهرة ،1964 ، ص 54-56.

وفي منتصف القرن الثامن عشر عندما شعر العلماء بخطورة هذا الأمر على الإسلام انبرى بعضهم – من أمثال الشيخ جبريل بن عمر التارقي- للتصدي لهذه الظاهرة وأخذوا يوجهون النقد للسلاطين في تحد سافر لأعراف ذلك العصر. وفي بداية القرن التاسع عشر ذهب الشيخ عثمان بن فودي وشقيقه عبد الله (تلميذا الشيخ جبريل)- ذهبوا إلى أبعد من ذلك، وأعلنوا الجهاد ضد ممالك الهوسا بهدف "تطهير الدين وتجديده".

واعتلى مقاعد السلطة في هذه الفترة ما اصطلح على تسميته بدعاة الإصلاح الديني، حيث تولى الوالي جبريل الإصلاح في نوبي، وفي كانو السركي الوالي وفي زارية السركي إسحاق وفي كتسينة السريك غوزو، وفي جوبير وكبي وزامفارا الشيخ عثمان بن دان فوديو. وقد دخلوا في المواجهة العسكرية الفعلية ما بين 1795 و 1810، وأُعلنت الحرب رسميا في عام 1804، بعد أن هاجر الشيخ عثمان هو وأتباعه من ديجيل الى جوبر، حيث نودي بالشيخ عثمان اماما للدولة الجديدة. ومع بداية عام 1806، كانت أعلام الحرب قد وزعت على مستوى المنطقة، وكان المصلحون يستخدمون حرب العصابات وأسلحتها.[1] وبحلول عام 1809، كانت جميع ولايات الهوسا الرئيسية قد استسلمت ولاذ سلاطينها بالفرار إلى المنفى. وخاضت قوات الشيخ أعنف المعارك في جوبر التي شبهها قادة جيشه بمعركة بدر.

وباختصار، بعد أربعة أعوام من المعارك تمكنوا من الإطاحة بجميع النظم القائمة آنذاك وإقامة خلافة إسلامية صحيحة، أطلق عليها تسمية الخلافة الصكتية(سوكوتو) تجدر الإشارة أنه عندما توفي الشيخ عثمان سنة 1817، خلفه ابنه محمد بلو الذي أصبح

[1]-Last, M : The Sokoto Caliphate, Longman, London, 1967.

يلقب بالخليفة ويشاركه عمه عبد الله الذي تولى حكم الإمارات الغربية حيث أصبح يلقب بالأمير.[1]

واستمرت الخلافة الصكتية حوالي مائة سنة (1804-1903)، وشملت كل شمال نيجيريا وأجزاء من جنوبها، إضافة إلى رقعة واسعة من جمهوريتي النيجر والكمرون الحاليتين. وقد اجتهد علماء هذه الخلافة في ترسيخ الإسلام وتربية الأجيال عليه، مع تركيز خاص على نشر العلم والمعرفة. لذلك عندما سقطت هذه الخلافة مع قدوم الاستعمار البريطاني عام 1903، لم تجد الإرساليات التنصيرية موطئ قدم لها وسط المسلمين فيها.

وقد حرص المجتمع الهوسوي طيلة فترة الاستعمار على المحافظة على تعاليم الشيخ عثمان وحماية أبنائهم من التأثر بسلبيات الثقافة الغربية. وبعد نيل نيجيريا الاستقلال (1960) عمل السير أحمدو بيلو، حفيد الشيخ عثمان وأول رئيس وزراء شمال نيجيريا – عمل على ربط شمال نيجيريا بالعالم الإسلامي عن طريق رسال الطلاب لتلقي العلم في البلاد العربية الإسلامية، وبالأخص السودان ومصر. ولهذا الرعيل الأول من هؤلاء الطلاب الفضل في إضفاء الصبغة الإسلامية في كل الأمور المتعلقة بالنشاط الفكري وبالتعليم والقضاء والإدارة بصورة عامة في شمال نيجيريا إلى يومنا هذا.

-المحور الخامس ممالك السودان الشرقي (سلطنة زنجبار الإسلامية) (3 محاضرات)

استفاد العرب والفرس الشيرازيين مئات السنين من الرياح الموسمية التجارية التي كانت تهب على المحيط الهندي، حيث ساعدتهم على الوصول إلى جزر وسواحل شرق

[1]- محمد بلو بن فودي: مرجع سابق، ص 54-56.

إفريقيا والإقامة فيها. وأنشئوا عليها مدنا ودويلات مزدهرة تشترك في التجارة الإقليمية والمحلية، ولكنها تكاد تكون مستقلة بعضها عن البعض الآخر من الناحية السياسية.[1]

ومع مرور الوقت، أقامت هذه المدن علاقات تجارية مع المناطق الواقعة خلفها، حيث معظم السكان من قبائل البانتو الإفريقية، فتعاون زعماؤها وحكامها مع تجار الساحل في تنشيط التجارة التي كانت تعتمد بدرجة كبيرة على تصدير العاج والرقيق وبقدر أقل الذهب وشمع النحل والعنبر وجلود الحيوانات، وتستورد في المقابل المنتجات المصنوعة كالمنسوجات القطنية والأقمشة الحريرية والأدوات النحاسية والمعدنية والخرز الزجاجي بالإضافة إلى البهارات والتوابل وكل ما تنتجه الهند وبلاد فارس والخليج العربي، وهذا كله يتم عن طريق المعاملات التجارية التي كانت تربط بينهما.[2]

تجدر الإشارة هنا، أن هذه العلاقات التجارية كانت مع المناطق الواقعة خلف الساحل مباشرة، وليس على مسافات بعيدة نحو الداخل (منطقة البحيرات الكبرى). لأنه حسب أولفر Roland Oliver لم يسجل للتجار العرب والهنود وسكان الساحل (السواحيليين) أي توغل للمناطق الداخلية البعيدة قبل عام 1700.[3]

غير أنه لم يقدر لهذه الحالة من الرفاهية والاستقرار أن تبقى طويلا، فالرخاء الاقتصادي والاستقرار السياسي الذي نعمت به مدن كيلوا وماليندي وزنجبار[4] وبانجاني وباغامويو Pagamoyo وبمبا وبيت وغيرها من مدن ساحل شرق إفريقيا طوال القرون السابقة، توقف مع نهاية القرن الخامس عشر، كما أن نفوذها السياسي على الساحل والجزر المجاورة له، وهي مناطق مهمّة تجاريا، قد اخذ في الانحسار عشية الغزو البرتغالي.

---

[1]- Reginald, Coupland: East Africa and its Invaders, Oxford university press, London, 1968, pp:16-17.

[2]-Edward, Alpers: Ivory and Staves in East-Central Africa: Changing Patterns of International Trade to the Later Nineteenth Century, Heinemann, London, 1975, p-p:44-58. See Also Hollingsworth, L.H: The Asians of East Africa, London,1960, p-p: 16-23.

[3]- Roland, Oliver: The East Africa interior, Cambridge University press, Cambridge, 1977, pp:621-622.

[4]- أصل التسمية فارسي وهي تتكون من كلمتين (زنج-بار) أي ساحل الزنج، ومع مرور الوقت أصبحت تسمى بكلمة واحدة "زنجبار".

وحسب ادوارد ألبيرز، فإن سرعة تعاقب الحكام ونمو العلاقات العدائية وكثرة الفتن الطائفية والشقاقات الداخلية بين مدن ودويلات ساحل شرق إفريقيا، هي التي شجعت على تدخل القوى الأجنبية ومحاولتها السيطرة على هذا الجزء الهام من إفريقيا. [1]

1- الاحتلال البرتغالي لسواحل شرق إفريقيا:

شهد العقد الأول من القرن السادس عشر الميلادي قدوم البرتغاليين الذين قاموا بغزو المدن الساحلية لشرق إفريقيا، وسلب العرب والهنود ما كانوا يتمتعون به من سيطرة تجارية وسياسية على الحوض الغربي للمحيط الهندي، مما تسبب في فقر العديد منهم، بالإضافة إلى خراب المدن الساحلية وتدهورها. واستمر الحكم البرتغالي الاستعماري الذي كان عنيفا وقاسيا قرابة القرن ونصف القرن قبل أن ينجح السكان المحليين، بمساعدة أئمة عُمان، الذين كانوا يعتمدون على أسطولا بحريا قويًا ومنظماً، في طرد البرتغاليين إلى الجنوب من نهر روفوما.

وقد شرع البرتغاليون في رحلاتهم الاستكشافية الاستعمارية سنة 1415، باحتلالهم مدينة سبتة المغربية التي كانوا يرون فيها مجرد مرحلة لاكتساح السواحل الإفريقية، والوصول إلى مناطق إنتاج التوابل والعقاقير وغيرها، وذلك من أجل تخطي الوساطة الإسلامية التي كانت تحتكر طرق التجارة إلى الهند وآسيا هذا من جهة، ومن جهة ثانية الاتصال بغيرهم من المسيحيين للقضاء على حكم المسلمين(دولة المماليك والعثمانيين من بعدهم) والاستيلاء على ممتلكاتهم وأراضيهم.[2]

وكان المشرف على تنفيذ هذا المخطط الكبير في بداية الأمر هو الأمير هنري الملاح، وهو ثالث أبناء يوحنا الأول ملك البرتغال الذي قاد حروب الاسترداد ضد

---

[1]- Edward, Alpers: op, cit: pp:44-45.

[2]- جيمس دفي: البرتغال في إفريقيا، ترجمة جاد طه، القاهرة،1961، ص ص:62-63. وراجع أيضا

- Justus, Strandes: The Portuguese in East Africa, EALB, Nairobi, 1968, p-p :1-30.

العرب المسلمين في شبه الجزيرة الأيبيرية ووحد البرتغال مع بداية القرن الرابع عشر. وقد بدأت سلسلة هذه الحملات في منتصف سنة 1498، حيث نجح أسطول بحري بقيادة فاسكو دو غاما في عبور رأس الرجاء الصالح والانحراف إلى الشمال بمحاذاة الساحل. فرسا أسطوله في مدينة الموزمبيق التي كانت تحت النفوذ السياسي لمدينة كيلوا، وهي الأراضي التي كان البرتغاليون يسعون لبلوغها.[1]

وعلى حسب ما توفره مصادر هذه الفترة، أن مدن ودويلات الساحل الشرقي لإفريقيا رفضت استقبال البرتغاليين، وقاومت كل محاولات الإنزال التي قاموا بها على مرافئها، باستثناء مدينة ماليندي التي كانت في خلاف سياسي كبير مع ممباسا وكيلوا، فقد رحب حاكمها بـ فاسكو دو غاما، واستقبله بحفاوة كبيرة، وساعده على الوصول إلى الهند. وجدير بالذكر أن ماليندي، التي أبهرت البرتغاليين بتقدمها الاقتصادي والحضاري، أصبحت الحليف الدائم والاستراتيجي للبرتغاليين في شرق إفريقيا، بل أن حاكمها أرسل أحد رعاياه مع أسطول دي غاما الذي كان في طريق عودته من الهند إلى البرتغال كسفير له في لشبونة.[2]

وأياً ما كان الأمر، فإن هذه الرحلة الاستكشافية في المقام الأول، تبعتها رحلات أخرى، وقد أعطت جميعها فكرة للبرتغاليين أن القوة هي السبيل الوحيد للسيطرة على الساحل الشرقي لإفريقيا، حتى تكون لهم مجموعة من الموانئ المناسبة تحصل منها سفنهم على المئونة التي تحتاجها في رحلاتها الطويلة نحو آسيا، وأن تصبح مثل هذه الموانئ نوعا من المحطات في منتصف الطريق بين البرتغال والشرق.

ومن الجدير بالذكر أن السياسة الاستعمارية البرتغالية في شرق إفريقيا، كانت تهدف إلى تحقيق غرضين أساسيين، هما:

---

[1]-Ibid.

[2]-Ibid , p: 28.

- أولا: مصادرة الملاحة التجارية في المحيط الهندي ورأس الرجاء، عن طريق التحكم في النشاط التجاري لمدن ساحل شرق إفريقيا والخليج العربي(مثل القيود، الاحتكارات، التراخيص...الخ).
- ثانيا: ضرب المسلمين والاستيلاء على أراضيهم وممتلكاتهم أينما وجدوا، وفرض الديانة المسيحية على المناطق التي يحتلونها.

ومع بداية سنة 1505، نجح أسطول بحري بقيادة فرانسيسكو دو أليدا Francisco de Almeida، الذي أصبح فيما بعد نائبا للملك في الهند، بعملية الإنزال في مدينة كيلوا، فنهبوها واحرقوا منازل السكان وقاموا بتدمير السفن الراسية في مرافئها، كما عزلوا حاكمها وعينوا بدلا منه رجلا يدعى محمد أنكواني كحاكم باسم البرتغاليين، وبالتعاون معه، شرع أسطول دي أليدا في بناء أول حصن للبرتغال في شرق إفريقيا، سيكون بمثابة القاعدة العسكرية التي تنطلق منها السفن البرتغالية للسيطرة على جميع مدن وجزر شرق إفريقيا.[1]

وفي العام التالي، ومع طلقات المدافع التي كانت تنطلق باستمرار من السفن البرتغالية قصد إشاعة الرعب بين السكان، تمكن البرتغاليين من إخضاع جميع المدن الساحلية واحتلالها. وهذا بالرغم من المقاومة الباسلة التي أبداها سكان الساحل، يعاونهم المئات من أبناء القبائل الإفريقية مستخدمين في معظم الأحيان أسلحة تقليدية كالحجارة والسهام والرماح السامة.[2]

وخلال فترة الاحتلال هذه التي دامت إلى غاية النصف الأول من القرن الثامن عشر، عانى سكان الساحل من أعمال التنكيل والتدمير وحرق المزارع والماشية، مع

[1]- جيمس دفي: مرجع سابق، ص: 65. وراجع أيضا/ فالح، حنظل: العرب والبرتغال في التاريخ، منشورات المجمع الثقافي، الإمارات العربية، 1997، ص: 148. وراجع ايضا/أحمد بوشرب: أسباب ومراحل اكتشاف البرتغاليين للسواحل الإفريقية خلال القرن 15، مجلة المؤرخ العربي، العدد 31، بغداد، 1987، ص ص:61-62.

[2]- Justus, Strandes: op, cit, p-p:43-66.

إرغام جميع حكام المدن على دفع ضرائب سنوية لملك البرتغال. أما الإجراء الأكثر خطورة والذي أعتبر بمثابة العقاب المدمّر فهو إلغاء تجارة المحيط الهندي (مصدر ازدهار سكان الساحل وتقدمهم)، وتحويلها إلى التجار البرتغاليين الذين تحكّموا في جميع الطرق التجارية الدولية والإقليمية، ورخصوا لبعض السفن الهندية والعربية بخدمة التجارة الفرعية على طول السواحل الإفريقية والأسيوية المطلة على المحيط الهندي والخليج العربي.[1]

وكانت أحداث هذه التطورات التي شهدها المحيط الهندي قد وصلت إلى السلطان العثماني في اسطنبول، فأرسل على الفور أسطولا بحريا بقيادة مير علي بك إلى شرق إفريقيا، فاستقبلته جميع المدن الساحلية وتحالفت معه، باستثناء مدينة ماليندي التي فضلت الاستمرار في تحالفها مع البرتغاليين.

وبوصول الأسطول العثماني إلى ممباسا في منتصف سنة 1588 ومحاولة جعلها قاعدة عسكرية تنطلق منها السفن العثمانية لمهاجمة ماليندي وباقي القواعد البرتغالية في شرق إفريقيا، رد عليهم البرتغاليون بإرسال أسطول أكبر انطلق من الهند. غير أنه وللمفارقة، فقد تزامن التهديد البرتغالي مع هجوم قبائل الزيمبا Zimba الإفريقية المتوحشة، أكلة لحوم البشر.[2]

وقد أدى هجوم الزيمبا من الداخل إلى تدمير المدينة على الكامل ونهبها ونشر الفوضى والرعب بين السكان المحليين الذين فرّ الكثير منهم إلى السفن العثمانية والبرتغالية التي كانت في قتال عنيف فيما بينها، وانتهت المعركة بانتصار البرتغاليين الذين أسرو القائد العثماني والبعض من رجاله، ودخلوا إلى المدينة واستولوا عليها، ونصبوا عليها حاكما جديدا يحكم باسمهم. في حين استمرت قبائل الزيمبا في التحرك باتجاه

---

[1]- المرجع نفسه، ص ص: 51-52. ويمكن الرجوع أيضا إلى/ Justus, Strandes: op, cit, p :110

[2]- جيمس دفي: مرجع سابق، ص: 65.

الشمال، ولم يوقفهم عن التدمير والقتل سوى السيجيجو(قبائل إفريقية من داخل القارة) بمساعدة البرتغاليين.[1]

إن نجاح البرتغاليين في القضاء على تمرّد سكان الساحل والحملة العثمانية، أدى إلى تعزيز مكانتهم في شرق إفريقيا. ومن أجل المحافظة على هذه المكانة والتصدي لهجمات مماثلة في المستقبل، قرر البرتغاليون بناء حصن[2] في ممباسا لحماية مصالحهم في المحيط الهندي، تدل على فن عمارته وقوة تحصيناته الآثار الباقية إلى اليوم.

وباختصار، فإن البرتغاليون طوال فترة تواجدهم في شرق إفريقيا قد أخفقوا في وضع سياسة واضحة لإخضاع الساحل أو إدارته، أو محاولة التوغل نحو الداخل الذي بقي مجهولا إلى غاية قيام الإمبراطورية العمانية في زنجبار، وتنشيط تجارة القوافل للمسافات الطويلة.

وفسّرت الدراسات الغربية هذا الإخفاق، بأن المصالح البرتغالية الحقيقية كانت تتجاوز، منذ البداية، الساحل الشرقي لإفريقيا وتكمن في اتجاه الهند وآسيا. غير أن الحقيقة هي النقيض من ذلك، فالمقاومة المتصلة التي قادتها مدن ممباسا وكيلوا وزنجبار وغيرها من المدن الساحلية، والتدخل العربي العماني، هو الذي أدى إلى إنهاء الحكم الاستعماري البرتغالي.

2- التدخل العماني وتحرير الساحل:

أقام البرتغاليون في الفترة من 1505م إلى 1650م إمبراطورية استعمارية قوية في المحيط الهندي، وكان اهتمامهم الأساسي ينصب على مصادرة الملاحة التجارية

1-Ibid, P-P: 58-64.

2- أعتبر من أعظم الحصون البرتغالية في شرق إفريقيا وأمنعها بعد حصن الموزمبيق، وقد بناه المهندس الايطالي الشهير جون بابتيست كايراتو JOHN BAPTIST CAIRATTO بين سنتي 1593 و 1594 في مدينة ممباسا الساحلية، وصار يعرف فيما بعد بحصن يسوع FORT JESUS. أنظر/ سعيد المغيري: جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، مطبعة وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، 2001، ص ص: 196-186.

والسيطرة عليها. ولم يكن لديهم أي اهتمام بتنمية المدن الساحلية التي أخضعوها. مما جعل هذه المدن، كما سبق وأوضحنا، تتمرد وتقاوم الوجود البرتغالي بصفة منتظمة ولاسّيما ممباسا التي يبدوا أنها تسلمت قيادة التحرر والمقاومة الوطنية.

وبحلول عام 1622، كانت البرتغال قد طُردت من مدينة هرمز[1] الفارسية. وفي عام 1650 من الساحل العماني على الخليج العربي، الذي كانت تحكم مناطقه الداخلية أسرة اليعاربة التي أسسها الإمام ناصر بن مرشد عام 1624. ولم تتوقف انتصارات الحكام العمانيين عند هذا الحد، بل تمكّنوا من طرد البرتغاليين فيما وراء الخليج العربي وتأمين طرق التجارة الواقعة شمال المحيط الهندي.[2] وفي غضون ذلك، كانت نداءات وشكاوى مدن ساحل شرق إفريقيا، من سوء معاملة البرتغاليين، قد وصلت إلى حكام عُمان الجدد الذين طلب سكان الساحل مساعدتهم ضد السيطرة الاستعمارية البرتغالية.

وكان من الضروري أن تلفت الروابط التاريخية والدينية والتجارية، أنظار هؤلاء الحكام الجدد إلى منطقة شرق إفريقيا. وبالفعل وافق أئمة عُمان على هذا الطلب، حيث لم يمض وقت طويل، حتى أرسل الإمام سلطان بن سيف عام 1655 عدد من السفن العمانية لمساندة الحكام المحليين في جهودهم ضد البرتغاليين. وقد هاجمت الحملة العمانية عدة مواقع برتغالية في زنجبار وبيت، وتم على إثرها قتل وأسر عدد من البرتغاليين، وتعهد حكامها في المقابل بدفع الجزية لسلطان عمان.

---

[1]- شاه فارس من تحريرها وطرد البرتغاليين منها.

[2]- عائشة، علي السيار: دولة اليعاربة في عمان وشرق إفريقيا في الفترة من 1624-1741، دار القدس للنشر، بيروت، 1973، ص – ص: 44-60.

وعلى ضوء نجاح هذا الهجوم، قامت ثورات تمرّد في كل المدن الساحلية ضد حكم البرتغاليين، فرد البرتغاليون عليهم بهجوم عنيف، تمكنوا من خلاله إخماد هذه الثورات ومعاقبة كل من تعاون مع العرب العمانيين.[1]

ومع بداية سنة 1660، هاجم أسطول عماني صغير مدينة ممباسا، لكنهم لم يتمكنوا من الدخول إلى المدينة بسبب قوة الدفاعات البرتغالية التي كانت تتخذ من حصن يسوع مقرا لها. كما شن العرب العمانيون بين سنتي 1668-1669 حملات أخرى على المراكز التجارية والمواصلات البحرية البرتغالية، امتدت جنوباً حتى بلغت مدينة الموزمبيق، وكان نجاحها محدودا بسبب انشغال حكام عمان بالفتن والقلاقل الداخلية. وقد انتهز البرتغاليون فرصة انشغال أئمة مسقط بأوضاعهم الداخلية، ليعيدوا إحكام سيطرتهم على ممباسا وفازا وبيت، وقرروا بعدها حكم هذه المدن، حكماً مباشراً، ولم تتوقف محاولاتهم عند هذا الحد، بل واصلوا غاراتهم على المدن التي تحالفت مع العمانيين.[2]

في أوت عام 1678، قاد نائب الملك البرتغالي بيدرو داميدا قوة كبيرة انطلقت من غوا في الهند، فهاجم مدينة باتا، ونهبها واستمرا في حصارها إلى غاية منتصف سنة 1679، حيث اضطر إلى الانسحاب بعد ظهور سفن عمانية أرسلها الإمام سيف ابن سلطان الذي خلف والده في الحكم عام 1668. لكن أسطول داميدا لم ينسحب كليًا من المدن الشمالية، فقد تمكن من الاستيلاء عليها، واستخدم وسائل قمعية وقاسية، فقبضوا على حكامها وقطعوا رؤوسهم، ونهبوا محلات التجار وقصور الحكام، وصادروا كل الثروات التي يمكن أن تحمل على ظهور السفن لترسل إلى لشبونة.[3]

---

[1]-Reginald, Coupland: op, cit, p:66.

[2]- عائشة، علي السيار: مرجع سابق، ص- ص: 96-98.

[3]- أحمد حمود المعمري: عُمان وشرق إفريقيا، ترجمة أمين عبد الله، مطابع سجل العرب، 1980 ، ص ص: 66-67. راجع أيضا/ سعيد المغيري : مرجع سابق، ص ص: 192-196.

ولم تثني الهزائم العسكرية التي لحقت بالبرتغاليين فيما بين سنة 1660 وسنة 1679. ففي سنة 1686، قاموا بغارة ثانية على مدينة باتا، فتمكنوا من دخولها وأسر حاكمها ومعه اثنا عشر من مستشاريه وأرسلوا إلى قاعدة غوا في الهند. كما نجحوا في منتصف سنة 1694 في القضاء على تمرد قادته جزيرة بمبا[1] Pemba ، وتمكنوا من طرد العرب العمانيين من سواحلها ومن خليج لامو.[2]

إلا أن السنوات التالية شهدت أكبر تحد من جانب سلاطين عمان. ففي شهر مارس سنة 1696، أرسل الإمام أسطولاً بحرياً مكونا من سبع سفن حربية كبيرة تحمل عددا من المدافع وثلاثة آلاف (3000) رجل، لمهاجمة ممباسا، وبمساعدة سكانها، دخلوا المدينة بسهولة، ثم فرضوا الحصار على حصن اليسوع مقر الحامية البرتغالية.[3]

بالرغم من وصول الدعم من حليفة البرتغال مـاليندي، وأربعة سفن برتغالية من قاعدتهم في غوا والتي تمكنت، رغم الحصار الشديد، من إمداد وإرسال بعض المؤن للتخفيف عن المحاصرين في الحصن، إلا أن الحامية البرتغالية لم تستطع مواصلة المقاومة، نتيجة انتشار الأمراض وسوء التغذية، وفضلت الاستسلام وتسليم الحصن للعمانيين مع نهاية شهر ديسمبر سنة 1699 بعد حصار دام أكثر من سنتين ونصف.[4]

وتزامن هذا، مع وصول حملة برتغالية أخرى انطلقت من الموزمبيق وكانت تحمل أوامر بالاشتباك مع العمانيين واسترجاع المدينة، إلا أن قائدها فوجئ بالعلم العماني

---

[1]- جزيرة تقع بالمحيط الهندي ومحـاذية لجزيرة زنجبار .تبلغ مساحتها 380ميلا.

[2]- سعيد المغيري: مرجع سابق، ص ص: 192-193. وراجع أيضا/

Reginald, Coupland: op, cit, pp:67-68.

[3]- فالح حنظل: مرجع سابق، ص ص: 523-524.

[4]- Reginald, Coupland: op, cit, p:68.

الأحمر يرفرف في مدينة ممباسا. وقد استطاع العمانيون من خلال هذه الحملة قتل أكثر من 1000 برتغالي بالإضافة إلى 5000 من السواحيليين والهنود الموالين لهم.[1]

تجدر الإشارة هنا، أنه في هذه الأثناء كان نشاط السفن الانجليزية والهولندية قد بدا واضحا في الجزء الغربي من المحيط الهندي، وقد اتجهت هذه التطورات في غير صالح البرتغاليين الذين كانوا منشغلين بحروبهم في شرق إفريقيا. وكان الانجليز مع نهاية سنة 1580 قد عبروا رأس الرجاء. وفي سنة 1591، رست ثلاث سفن بريطانية في زنجبار من أجل التزود بالمؤن والمياه، وكان هدفها تتبع طريق فاسكو دو غاما والوصول إلى الهند.[2]

أما الهولنديون فقد كانوا يشاركون منذ وقت طويل في التجارة الشرقية كوكلاء في السفن الأوروبية(الاسبانية والبرتغالية على وجه الخصوص)، إلا أنهم صمّموا مع نهاية القرن السادس عشر، بمساعدة حكومتهم في أمستردام، على الوصول إلى الشرق الأقصى بمفردهم. وتمكنت سفنهم عام 1607 من حصار البرتغاليين في حصن الموزمبيق استمر عدة أشهر، قبل أن يضطرهم المرض ونقص المئونة إلى الانسحاب.[3]

وبإيجاز، فقد أدت أعمال القرصنة والغارات التي كانت تشنها السفن الانجليزية والهولندية إلى إرهاق البحرية البرتغالية التي كان نشاطها في النصف الأول من القرن السابع عشر قد حسم في الهند والخليج العربي، بعد أن أخذت شركة الهند الشرقية الهولندية The Dutch East India Company وشركة الهند الانجليزية الإشراف رسمياً على المواصلات البحرية في المحيط الهندي، ونقل منتجات الشرق إلى أوروبا عن طريق رأس الرجاء.

---

[1]- جيمس دفي: مرجع سابق، ص: 66.

[2]- Reginald, Coupland: op, cit, pp:52-53.

[3]- للمزيد من التفاصيل حول أهداف التواجد الهولندي في المحيط الهندي أنظر/

- Hollingsworth, L.H: op , cit , p-p :1-30.

كان في سقوط مدينة ممباسا وحصنها، بداية لتوسع عماني في شرق إفريقيا، والتمهيد لتأسيس إمبراطورية عربية عمانية على أنقاض الإمبراطورية البرتغالية ستكون لها السيادة على المحيط الهندي طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. وقد بدأ العرب العمانيون هذا التوسع، بتشجيع من السكان المحليين، في تحرير بقية مدن الساحل وطرد البرتغاليين منها. وتم تعيين حاكم عماني اسمه ناصر بن عبد الله على مدينة ممباسا، خضعت لحكمه فيما بعد بقية المدن والجزر المجاورة.

وقد حاول البرتغاليون العودة مرة أخرى إلى ممباسا، وتكررت محاولاتهم في سنوات 1703 و1710. واستمروا في المحاولة في السنوات التالية، حتى تمكن قائدهم لويس سامبويو من السيطرة على طول الساحل من باتا إلى مدينة كيلوا، وحصوله على تقارير تفيد بأن سكان ممباسا قد تمردوا عن حاكمهم العماني وهم في استعداد لاستقبال البرتغاليين والتعاون معهم ضد العمانيين ومؤيديهم. ومن مدينة بيت تحرك البرتغاليون لإخضاع ممباسا واحتلالها من جديد. وقد نجحوا في العودة إلى المدينة والسيطرة عليها لفترة وجيزة فيما بين سنتي 1728 و1729، منتهزين فرصة انشغال أئمة مسقط بالنزاعات الداخلية.[1] فاستسلم الحصن والمدينة للقوات البرتغالية المدعّمة من الحكام السواحيليين الذين خُلعوا من قبل من طرف حاكم ممباسا العماني.[2]

والجدير بالذكر أن عودة البرتغاليين وحلفائهم لم تستمر طويلا. فقد تمكن سكان المدينة السواحيليين، بمساعدة ثلاثة سفن حربية عمانية، من حصار البرتغاليين في الحصن لعدة أسابيع، قبل أن يقنعهم اشتباك مسلح مع بداية عام 1730 بضرورة الاستسلام مقابل السماح لهم بالإبحار إلى الموزمبيق جنوبًا.[3] ولم يبق لهم من ممتلكاتهم في شرق

---

[1]- بعد نجاح أسرة اليعاربة في تحرير عمان وساحل شرق إفريقيا من البرتغاليين، دخلت البلاد في نزاعات قبلية وحرب أهلية، تمكنت القبائل العمانية من خلالها في عام 1944 من إنهاء حكم أسرة اليعاربة ومبايعة أسرة آل بوسعيد التي مازالت تحكم عمان إلى يومنا هذا.

[2]- عائشة، علي السيار: مرجع سابق، ص ص: 102-103.

[3]- المرجع نفسه.

إفريقيا، بعد هذا التاريخ، سوى المنطقة التي تقع جنوب نهر روفوما والتي سميت فيما بعد بإفريقيا الشرقية البرتغـالية (الموزمبيق الآن).

على ضوء هذا النصر، نستنتج أنه كان للعمانيين، بمساعدة سكان الساحل السواحيليين، دور كبير في تحرير ساحل شرق إفريقيا من السيطرة الاستعمارية البرتغالية. وعليه، أصبحت كل المناطق الواقعة بين الموزمبيق جنوباً ومقديشو شمالاً تحت نفوذ أئمة عمان، الذين كان استمرار الحرب الأهلية في بلادهم حائلاً بينهم وبين ممارسة السلطة الفعلية في شرق إفريقيا. ومن ثم عُهد بحكومة المدن الساحلية المهمّة كمباسا وزنجبار وكيلوا إلى شيوخ عمانيين من أجل إخماد الثورات الداخلية، والحكم باسمهم. حيث تمكن هؤلاء، مع مرور الوقت، من أن يجعلوا من أنفسهم في واقع الأمر حكـاماً مستقلين، ليدخل ساحل شرق إفريقيا مرة أخرى عصرا جديدا من تاريخه.

كان هذا هو ما سمح للعمانيين بأن يصبحوا سادة شرق إفريقيا. حيث زاد التجار السواحيليين من نشاطهم على الساحل، وفي الوقت نفسه، نمت الأموال التجـارية الهندية في كيلوا وممباسا. وبحلول الثمانينات من القرن الثامن عشر كان هناك بالفعل مشروعات تجارية رائدة قام بها السواحيليون مع القبائل الإفريقية في الداخل، بعد أن أصبحت أسرة آل بوسعيد الحاكم الفعلي في عُمان، وهذا ما يشهد عليه انتعاش الاقتصاد التجاري للساحل السواحيلي خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر. وفي الوقت نفسه، وفرت زنجبار- التي ستصبح أكثر قواعد آل بوسعيد استقرارا وولاءً لهم في شرق إفريقيا، كل الدعم السياسي والاقتصادي لهؤلاء الحكام الجدد لتوسيع نفوذهم على الساحل، ثم اتخاذهم لها بعد ذلك عاصمة لسلطنتهم.

3- السياسة العمانية وتطورها:

شهدت منطقة شرق إفريقيا خلال فترة التواجد العماني تحوّلات بالغة الأهمية في الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وكان الساحل إلى غاية السيطرة العمانية

الفعّلية مع بداية عام 1800، لا يزال ينتمي إلى المحيط الهندي أكثر مما ينتمي إلى القارة الإفريقية، غير أن تجارة القوافل للمسافات طويلة، كان لها أثرها الاجتماعي والاقتصادي والثقافي الكبير والعميق على تطور مجتمعات الداخل[1]، وأولها هو انتشار الإسلام واللغة السواحيلية.

أ- على المستوى السياسي:

من الوجهة السياسية، كانت منطقة شرق إفريقيا لا تزال مجزئة وتتمتع مدنها بقدر كبير من الاستقلال في ظل زعماء محليين، ذلك أن تحرير البلاد من البرتغاليين عام 1730، لم يعقبه مباشرة فرض أي نوع من السيطرة العربية العمانية الفعّلية والشاملة على الساحل والجزر المقابلة له.

والجدير بالذكر أن استمرار المشاكل الداخلية، والنزاعات الطائفية والقبلية في عمان من جهة، وصراعهم مع السعوديين والفرس في الخليج العربي من جهة ثانية، جعلت سيادة أئمة مسقط على شرق إفريقيا أسمية أكثر منها فعلية. وبالرغم من تعيين ولاة عرب عمانيين في بعض مدن الساحل لإدارتها، وجمع الضرائب، إلا أنه عندما أدرك هؤلاء أن الأحوال المضطربة في عُمان لا تسمح لائمة مسقط على التدخل في شرقي إفريقيا، فقد رفضوا حتى السيادة الاسمية لحكومة عمان، وجعلوا من أنفسهم حكام مستقلين للمدن التي عينوا عليها. وعند نهاية القرن الثامن عشر، لم يكن للعمانيين وجود فعلي إلا في مدينتان رئيسيتان، هما زنجبار وكيلوا. أما أسرة المزروعي[2]العمانية التي كانت تحكم ممباسا منذ عام 1739، فقد أصبحت تتمتع بوضع مستقل كليا، بل أن حكامها شكلوا تهديدا حقيقيا لأسرة آل بوسعيد الحاكمة في عمان، وتمكنوا مع مرور

[1]- معظمهم من قبائل البانتو الإفريقية وبعض العناصر الحامية والنيلية وأهمها: الشاغا، ها ، الباري، الواهيي، الماساي، السوكوما، الايرامبا، الياو، النياموزي، الزيتزا، الكيمبو، الزيمبا، السيجيجو.

[2]- المزروعيين فرع من قبيلة بني ياس العمانية. راجع/ أحمد حمود المعمري: مرجع سابق، ص ص: 70-71.

الوقت من فرض سيادتهم السياسية على أجزاء واسعة من الساحل، تمتد من خليج لامو في الشمال إلى بانغاني في الجنوب.[1]

وفي عام 1785، عُين والٍ عماني قريب من أسرة آل بوسعيد حاكماً لمدينة كيلوا، خلفاً لعائلة السلطان حسن إبراهيم الشيرازية، ورافقته حاميتين عسكريتين عمانيتين لمنع أي تمرد في المستقبل. وكان الحاكم العماني الجديد يمارس سلطاته بمساعدة بعض الشيوخ والأعيان المحليين الذين ينتمون للمناطق التي كانت تحت النفوذ السياسي لكيلوا ، وهي تمتد حتى مدينة الموزمبيق البرتغالية جنوبا. وقد خلقت هذه التطورات السياسية في كيلوا مزيدا من الاستقرار في الأوضاع الاقتصادية عن طريق التوسّع في التجارة التي ازدهرت بفضل الطلب المتزايد على العاج والرقيق من جانب المستعمرات الفرنسية[2]في المحيط الهندي من جهة، وتدفق رؤوس الأموال الهندية لاستثمارها من جهة أخرى.[3]

وبالموازاة مع هذا، كان الزعيم المحلي في جزيرة زنجبار المسمى بالسواحيلية "**موشي مكوو**"، يعمل جنبا إلى جنب مع الحاكم العماني الجديد الذي عين في منتصف سنة 1799، في إدارة شؤون الحكم، وفي جباية الضرائب التي فرضتها حكومة مسقط على السكان المحليين الذين كانوا يعيشون أساسا على الصيد البحري والحرف الصناعية. ومع تزايد اهتمام سلاطين عمان بزنجبار كمركز للسلطة السياسية، وكقاعدة اقتصادية وتجارية، تقلصت السلطة السياسية للزعماء المحليين، حيث أصبح دورهم استشاريا فقط للحاكم

---

[1]- أحمد حمود المعمري: مرجع سابق، ص ص:71-72.

[2]- احتلت فرنسا في المحيط الهندي جزيرة إيل دوفرانس(موريس حاليا) وجزيرة البوربون(الريينيون حاليا)، وقامت سلطات الاحتلال الفرنسي في النصف الأول من القرن الثامن عشر بتحويلها إلى مستعمرات زراعية نظرا لمناخها المعتدل وتربتها الخصبة، مما جعلها تتوجه نحو مدن الساحل الشرقي الإفريقي لطلب الرقيق الذي كان يوفره حكامها من داخل القارة. وقد أصبح لهذه الجزر مع مرور الوقت دور مهم في توثيق الروابط السياسية والتجارية بين فرنسا والخليج العربي وشرق إفريقيا. راجع للمزيد/

Edward, Alpers: op, cit, p-p:190-192.

[3]-Ibid.

العماني، وانتقلت مساحات واسعة من الأراضي الزراعية والموانئ التجارية المهمّة للعمانيين، الذين تزايد عددهم بكثرة مع مطلع القرن التاسع عشر.[1]

أما بقية مدن الساحل الواقعة بين كيلوا في الجنوب وممباسا في الشمال مثل بانغاني وتانغا وجزيرة مافيا وبمبا وغيرها من الجزر المقابلة للساحل، كانت إلى غاية عام 1800، خالية من أي وجود عماني، ولا تزال تتمتع بحكم ذاتي تحت سلطة زعماء محليين[2] (بالسواحيلية **جومبي وديواني**) ويساعدهم مستشارون مكلفون بفرض الضرائب، وجمعها، وتسوية المنازعات وإصدار الأحكام التي كانت خليطا من القانون العرفي التقليدي والشريعة الإسلامية.[3]

وعلى الرغم من تجزئة الساحل سياسيا، فإنه بحلول عام 1800، بدا التدخل العماني واضحا لفرض سيادتهم على المنطقة، وتوحيد مدن الساحل تحت رايتهم. وكان هذا التدخل قائما أساسا على أطماع اقتصادية قبل كل شيء، كانت تراود أئمة مسقط[4] منذ طردهم للبرتغاليين في عام 1730.

وقد اتبع هذه السياسة بدهاء كبير السيد سعيد بن سلطان 1791-1856، الذي خلف والده في الحكم عام 1806. وبعد أن تمكن من تثبيت دعائم حكمه في مسقط خصوصا أمام خطر السعوديين، توجه اهتمامه بمزيد من الثقة نحو شرق إفريقيا. وكان السيد سعيد يدرك الإمكانيات الاقتصادية والتجارية الكبيرة التي يتمتع بها ساحل شرق

---

[1]-Gray, J.M: History of Zanzibar from the Middle Ages to 1856, Oxford University Press, London, 1962, PP: 160 -161.

[2]- أغلبهم من الشيرازيين، العرب الأشراف، العرب العمانيون الأوائل الذين هاجرو في القرن 15و16 والإفريقيين.

[3]-Ibid.

[4]- تعتنق القبائل العمانية المذهب الإباضي الذي تمثل نظريته السياسية في نظام الحكم بوجوب وجود إمام تنتخبه الجماعة ليتولى أمور الحكم والدفاع عن البلاد، وحين أصبحت أسرة السيد سعيد حاكمة لعمان سنة 1744 اختارت لقب السيد (السلطان) مضافا إلى لقب الإمام. أنظر للمزيد/ عبد الله بن إبراهيم التركي: قيام نظام الإمامة في عمان (1913-1920)، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 46، 1430ه، ص:283. وراجع أيضا/السيدة سالمة بنت السيد سعيد بن سلطان: مذكرات أميرة عربية، ط 9، ترجمة عبد المجيد القيسي، مطبعة وزارة التراث والثقافة، مسقط، 2006، ص: 34.

إفريقيا والجزر المقابلة له، ففضل الاستمرار في سياسة الحياد إزاء أقوى الدول الأوروبية الموجودة في المحيط الهندي والخليج العربي آنذاك، وهي بريطانيا وفرنسا. فوقع مع حاكم جزيرة البوربون الفرنسية معاهدة عام 1807 تقوم على تسهيل عملية التبادل التجاري[1]. وفي نفس الوقت، كانت بريطانيا تدرك جيدا الأهمية الإستراتيجية لأملاك السلطان الإفريقية والآسيوية، فوافقت على سياستها المحايدة. وبالموازاة مع ذلك، كان برنامج سعيد يهدف إلى إقامة نظام سياسي واقتصادي جديد في شرق إفريقيا، مستفيدا من الصراعات التي كانت قائمة بين الحكام المحليين وتحويلها لمصلحته السياسية، مقابل وقوفه في وجه التدخل الأوروبي المتزايد في المنطقة.

ولم تحاول مدن الساحل-باستثناء ممباسا التي كانت تحت حكم أسرة المزروعي العمانية- رفض هذه السيادة، أو الثورة عليها، ما دامت تحميهم وتحمي تجارتهم من خطر التدخل الأجنبي. وجدير بالذكر أن النفوذ السياسي لممباسا كان يشمل جزيرة بمبا وأجزاء كبيرة من الساحل تمتد حتى خليج لامو شمالا، وكان تخوّف السيد سعيد من توسع نفوذ المزروعين نحو مناطق جديدة هو الذي دفع به مع بداية عام 1822 إلى إرسال أسطول عسكري إلى خليج لامو، الذي اعترف أهلها بسيادة عمان. ومن لامو توجه نحو باتا جنوبا ونجح بمساعدة حاكم لامو في طرد المزروعين من باتا وتنصيب حاكم من البوسعيديين، وإقامة حامية عسكرية لحماية مصالحه هناك. وفي السنة نفسها تمكن من محاصرة جزيرة بمبا، وبمساعدة أحد القبائل المناوئة لحكم المزروعين، تمكن مع مطلع سنة 1823 من الاستيلاء عليها وترك حامية عسكرية لحمايتها.[2]

[1]- Archive National (BNF): Rapport du ministère de la marine (bureau des colonies orientales et cotes d'Afrique), AFIV 1215 dossier 4, Paris Mars 1808, pp : 3-4.

[2]- Reginald, Coupland: op, cit, pp:222-223. See Also Gray, J.M: op, cit, p: 169.

وهكذا استطاع السيد سعيد من تحويل الوضع السياسي لمصلحته في أحد أهم الجزر الساحلية في شرق إفريقيا، وهي جزيرة بمبا. وقد دفع بالمزروعين بعد خسارتهم لبمبا، التي كانت ممباسا تعتمد عليها للحصول على الغذاء، إلى طلب الحماية البريطانية ضد البوسعيديين. وبالفعل استجاب الضابط البحري وليام أوين Owen لطلب الحاكم المزروعي مبارك بن أحمد، وأنزل حامية عسكرية بريطانية في ممباسا في شهر فيفري 1824، ورفع العلم البريطاني فوق حصنها.[1]

والواقع أن العلاقات البريطانية-العمانية كانت لا تسمح باستمرار هذه الحماية، واتخاذ الحكومة البريطانية أي موقف معادي اتجاه السلطان سعيد الذي كان قد أبرم معها في سبتمبر 1822 معاهدة مورسبي الشهيرة، تلك المعاهدة التي كانت تهدف إلى محاصرته تجاريا من خلال منع تجارة الرقيق[2] بين ممتلكاته الإفريقية والأسيوية وبين الدول الأوروبية، والسماح لبريطانيا بتعيين وكيل لها في زنجبار والموانئ المجاورة لها لمراقبة التجارة العمانية.[3]

وبالرغم من دفاع الضابط أوين عن ضرورة استمرار الحماية البريطانية لأسرة المزروعين في شرق إفريقيا، وتخطيطه المسبق بإمكانية استخدام ممباسا كقاعدة لمحاربة تجارة الرقيق العربية، إلا أن الحكومة البريطانية قررت أنه من الأفضل لها التعاون مع سعيد. وقامت في منتصف سنة 1826، بسحب حاميتها العسكرية من حصن ممباسا وميناءها، معلنة انتهاء حمايتها لأسرة المزروعين وممتلكاتهم في شرق إفريقيا.[4]

---

[1]- Ibid, pp: 234-236.

[2]- ألغت الحكومة البريطانية تجارة الرقيق في الجزر التابعة لها بموجب قوانين رسمية صادرة عن مجلس العموم سنة 1772 وسنة 1774، وفي سنة 1808 منعت سفنها من الاتجار في الرقيق، وفي سنة 1824 ألغت تجارة الرقيق نهائيا في جميع ممتلكاتها، وأصدرت أوامر للبحرية البريطانية بمحاربة هذه التجارة في المحيطين الأطلسي والهندي.

[3]-Ibid, pp : 269-295.

[4]-Ibid.

ورغم خروج الأسطول الانجليزي من ممباسا، فإن السلطان سعيد لم يتمكن من إخضاع المزروعيين لسلطته السياسية إلا في سنة 1837. وقد فشلت عدة حملات عسكرية أُرسلت في سنوات 1828، 1829 و1833، وكان فشلها يرجع -وإلى حد كبير- إلى مؤازرة بعض الفئات من السكان السواحيليين. ولكن حملة سنة 1837 التي قادها سعيد بنفسه، نجحت في الاستيلاء على حصن المدينة وإرغام المزروعين على الاستسلام وقبول السيادة العمانية.[1]

الأمر الذي أدى بدوره إلى خضوع كل الساحل الشرقي لإفريقيا والجزر المقابلة له، وبعض المناطق الداخلية من القارة للنفوذ العماني. وكما حدث من قبل ، اقترن الاعتراف بالسلطة العمانية بقدر كبير من الاستقلال الذاتي.

ب- على المستوى الاقتصادي والاجتماعي:

كان للعمانيين، كما كان لتجارة العاج والرقيق، إسهام كبير في النهوض بمنطقة شرق إفريقيا اقتصاديا، وظهور مجتمع متكامل اجتماعيا، ساعدت بعض عوامل تطوره على إيجاد ثقافة متجانسة إلى حد كبير، ومن أهمها العوامل الثقافية العربية والإسلامية. حيث أن دخول العنصر العربي والعنصر الشيرازي والهندي في مجتمع يغلب عليه العنصر الإفريقي البانتوي، قد أسهم في إحداث تمايز عرقي، ثم اجتماعي ، بعد ظهور الثقافة العربية والدين الإسلامي. ولم يكن للون، منذ دخول العرب والمسلمين، أثر اجتماعي أو سياسي، وكانت مكانة الفرد في المجتمع السواحيلي يحددها مستواه الاقتصادي والاجتماعي.

وظلّت تجارة العاج، مع تجارة الرقيق، تسيطر لعدة قرون على النشاط الاقتصادي للساحل والجزر المقابلة له. وكانت فرنسا، بعد احتلالها لجزر موريس والبوربون Bourbons في المحيط الهندي عام 1715 وتحويلهما إلى مستثمرات زراعية فيما بعد،

[1]-Ibid.

بمثابة حافز قوي للتجار السواحيليين وقرائنهم قبائل الماكوا والياو والنياموزي في داخل القارة ليوفرا لها الرقيق. وفي الوقت نفسه، نمت رؤوس الأموال الهندية والعربية في جزيرة زنجبار، حيث عمدا إلى تشجيعها الحكام البوسعيديون الذين كانوا قد جعلوا منها مركزهم الرئيسي.[1]

وبحلول عام 1800، كان هناك بالفعل ما يدل على وجود مشروعات تجارية قام بها العمانيون ومن والاهم من التجار السواحيليين والأفارقة. فقد كان هناك طرق جديدة للاتصال بشعوب الداخل مثل البوبووكا والبيسا انطلاقا من الساحل السواحيلي بالالتفاف حول باغاميو ، حيث أصبحت مدن مثل كيلوا وبانغاني وتانغا وبمبا مراكز تجارية رئيسية تجتذب إليها تجار الرقيق والعاج من داخل القارة. وهو ما يشهد عليه بالفعل انتعاش الاقتصاد التجاري للساحل السواحيلي مع مطلع القرن.[2]

والجدير بالذكر أن الحملات العسكرية التي قام بها أئمة مسقط لفرض سلطتهم السياسية على المدن الساحلية، خلقت، بعد نجاحها، مزيدا من الاستقرار وأدخلت مزيدا من رؤوس الأموال الأجنبية لاستثمارها، وأدت إلى التوسّع في التجارة. وقد استفادت عمان كثيرا من هذه الترتيبات. فمع بداية عام 1804م، كانت كيلوا ترسل إلى مسقط حوالي 6 آلاف من العملة الذهبية، وبحلول عام 1811م ارتفع هذا المبلغ إلى الضعف.[3] أما بقية مدن الساحل وجزره ، بما فيها زنجبار، فكان حكامها يرسلون سنويا إلى مسقط ما قيمته أربعون(40000) ألف من عملة ريال ماريا تريزا الفضية كضرائب ورسوم جمركية التي كانت تفرض على الصادرات والواردات.[4]

---

[1]- مديحة أحمد درويش: **سلطنة عمان خلال القرنين الثامن عش والتاسع عشر**، دار الشروق، الرياض، 1982، ص ص: 52-53.

[2]- Edward, Alpers: op, cit, p-p:161-166.

[3]- Edward, Alpers: op, cit, p177.

[4]- Nicholls, C.S: The Swahili Coast: Politics diplomacy and trade on the East African Littoral, 1798 1859, Allen & Unwin, London, 1971, pp: 99-100.

وقد شهد الاقتصاد العماني، بعد أن أصبح السيد سعيد بن سلطان إماماً على مسقط عام 1806م، توسعا كبيرا. فساهمت خبرته التجارية وسياسته التحررية، في توسيع تجارة نقل البضائع في المحيط الهندي ومياه الخليج العربي. وكانت أكثر البضائع ربحاً هي العاج[1] والرقيق، لتزايد الطلب عليهما في الأسواق الإقليمية والدولية، وكانت هذه البضاعة تصل إلى الساحل من خلال شبكات تجارية أقامتها شعوب المناطق الداخلية. ونظرا لارتفاع أسعار العاج في أسواق كيلوا وزنجبار، فقد حوّل قبائل الياو تجارتهم كليا من مدينة الموزمبيق البرتغالية إلى ميناء كيلوا لتصديرها.[2]

أما الرقيق، حسب ألبيرز، فقد كان التجار يجلبونهم من القبائل نفسها التي ينتمون إليها، وأهمها قبائل الماكوا والنغندو والياو والبيسا. وكان يتم الحصول عليهم عن طريق الغارات والحروب، وفي الكثير من الحالات تتم مقايضتهم بالسلع الهندية والعربية في الساحل مثل الخرز الزجاجي والقماش والأسلاك النحاسية.[3]

وبما أن الدوافع التي جعلته يركز اهتمامه على الساحل الشرقي لإفريقيا كانت اقتصادية وسياسية في أن واحد معاً، فقد كان فتح داخل القارة من أولوياته. ولهذا قام السيد سعيد بتشجيع التجار السواحيليين والعرب العمانيين الذين تزايد عددهم كثيرا خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن التاسع عشر على التوغل نحو الداخل، وإتباع الطرق التجارية القديمة، من خلال نظام التمويل الذي وضعه. حيث يقوم ملتزم الجمارك[4] الهندي بقرض تجار القوافل السواحيليين والعرب المبالغ المالية التي يحتاجونها،

---

[1]- يستخدم عاج الفيلة في صناعة أدوات الزينة وبعض السلع الترفيهية، كالأمشاط ومفاتيح البيانو وكرات البلياردو. وكانت الطبقات الميسرة في الهند والدول الغربية تتهافت عليه.

[2]- Edward, Alpers: op, cit, p-p:240-242.

[3]-Ibid .

[4]- يتم اختيار ملتزم الجمارك من طرف سلطان زنجبار من الرجال الهنود الذين يثبتون خبرة عالية في الأعمال الحسابية والمالية لتحصيل الرسوم الجمركية في الموانئ والمراكز التجارية الخاضعة لسلطة السلطان.

للقيام بأعمالهم التجارية في الداخل. مقابل إرجاعها إلى خزينة السلطان بعد عودتهم، مع جزء من الأرباح المحصّل عليها.

ووصلت أول قافلة عربية-سواحيلية إلى أراضي النيامويزي في عام 1824، انطلاقا من باغامويو على ساحل المحيط الهندي ومرورا بأراضي الكامي والساغارا واللوغورو والغوغو. وأسسوا في المنطقة سنة 1825 مدينة طابورا، كأول مدينة عربية في المناطق الداخلية، لاتخاذها كمركز تجاري بين الساحل والداخل من جهة، ومن جهة ثانية استخدامها كقاعدة خلفية لتجميع الرقيق من القبائل الإفريقية المجاورة. وأدى هذا-مع مرور الوقت- إلى قيام شبكة تجارية بين شعوب النيامويزي والمناطق الساحلية، وأخذت السلع العمانية والهندية طريقها إلى المنطقة، حيث كان يتم مقايضتها بعاج الفيلة والرقيق والصمغ الراتنجي والصدف الأصفر.[1]

وواصل وكلاء السيد سعيد التقدم نحو الداخل، حتى وصلوا بحلول عام 1831 إلى الشواطئ الشرقية لبحيرة تنجانيقا، وأسسوا في هذه المنطقة الإستراتيجية والمهمّة مدينة أوجيجي. ومنها واصلت أحد قوافله التقدم نحو الشمال الشرقي حتى وصلت إلى منطقة كازمبة، وكانت بعض القوافل تتوغل لمسافات أطول في أراضي البحيرات الكبرى وشمال الكونغو حاليا ومنها إلى مملكة بوغندا، كما كان هناك طريق آخر يمتد إلى الجنوب في اتجاه منطقة بحيرة نياسا وبلاد الياوYao.[2]

ولما كان العرب والسواحيليين معظمهم يعمل كوسطاء تجاريين بين زعماء الداخل وتجار الساحل الذين كان أغلبهم من الهنود، وجدوا من الضروري أن يقيموا مراكز ومحطات تكون بمثابة نقاط لتجميع تجارتهم المتمثلة أساسا في الرقيق والعاج.

---

[1] - John, Iliffe: A Modern History of Tanganyika, Cambridge University Press, Cambridge, 1979, pp:41-42. See Also Bennett, N.R: The Arab impact, in Ogot , B.A. Zamani (eds): A survey of East African History, E.A.P.H. Nairobi, 1974, p-p:212-231.

[2] -Ibid.

ومن أهم هذه المراكز، مركز أونيانيمبي بالقرب من مدينة طابورا الحالية في أرض النيامويزي، والمركز الثاني أوجيجي على الشاطئ الشرقي لبحيرة تنجانيقا. ومع مرور الوقت توسعت هذه المراكز لتصبح من أكبر مدن وسط تنزانيا الحديثة، وقد اندمج العرب - وان شكلوا جالية مستقلة في البداية تنافس التجار المحليين وفي مقدمتهم تجار النيامويزي- مع شعوب النيامويزي وقبيلة الها Ha بما يحقق النفع للطرفين.[1] وكان ارتفاع الطلب على العاج والرقيق على نحو ما يؤكده جون إليف في موانئ الساحل، هو الحافز الرئيسي وراء اندفاع قوافل العرب والسواحيليين نحو الداخل.[2]

تجدر الإشارة هنا أن هذا التكامل بين الساحل الشرقي لإفريقيا والمناطق الداخلية الشاسعة، لم يتحقق فقط من خلال طرق التجارة الجديدة من الساحل إلى الداخل عن طريق التجار العرب والسواحيليين، وإنما انطوى على تحويل واستيعاب لطرق تجارية إقليمية ومحلية كانت قائمة من قبل.

وهكذا أقام العمانيون إبان العشرينات والثلاثينات والأربعينات من القرن التاسع عشر، شبكة تجارية كبيرة لتجارة المسافات الطويلة تربط بين مدن الساحل- كيلوا وزنجبار وبانجاني وباغامويو- وبين المناطق الداخلية. وكان من المحطات المهمّة التي كانت ترتادها هذه القوافل النيامويزي، الياو، أوجيجي، أونيانيمبي وطابورا. ولحماية القوافل التجارية، أقام العمانيون حاميات عسكرية في البعض من هذه المراكز الواقعة بين الساحل والمناطق الداخلية. ولما كان برنامج السيد سعيد الاقتصادي يهدف إلى الحصول على المنافع التجارية لشرق إفريقيا، في ظل نظام سياسي تتمتع فيه مجتمعات المنطقة بقدر كبير من الحكم الذاتي. فقد قام بتعديل نظام التعامل النقدي بإدخال عملة نحاسية من الهند إلى جانب العملات الأخرى المتداولة كريالات ماريا تريزا الفضية

[1]- Bennett, N.R: op, cit, p-p:213-213.

[2]- John, Iliffe:(1979) op, cit, p: 42.

النمساوية والعملة الاسبانية، وبسط النظام الجمركي من خلال إعفاء الصادرات من أي جباية جمركية، وفي المقابل لم يفرض على الواردات سوى ضريبة 5 بالمائة.[1]

وبالموازاة مع هذا، فقد أدت سرعة التحوّلات الاقتصادية إلى تزايد عدد سكان مدن الساحل وأصبحت أكثر تنوعا من الناحية العرقية، فتدفق عليها مجموعات كبيرة من المهاجرين العرب ومن الأفارقة من شعوب الداخل. ومع مرور الوقت، أدى التوسّع في استخدام العبيد في المزارع والمنازل من قبل الارستقراطية العمانية إلى انهيار الأنماط الطبقية القديمة للسكان التي كانت سائدة من قبل، وظهور أنماط جديدة. ومع نهاية النصف الثاني من القرن التاسع عشر، شكل العبيد من سكان جزيرة زنجبار البالغ عددهم 150 ألفاً حوالي 60 بالمائة[2].

كما أحدثت تجارة القوافل للمسافات الطويلة تأثيرا اجتماعيا وثقافيا عميقا، بين سكان الساحل والمناطق الداخلية. فقد أخذت مجموعات كثيرة من المناطق الداخلية تقلد بعض المظاهر الحضارية الساحلية، خاصة في اللباس وبعض المأكولات العربية مثل الزعيم ماكاتا، زعيم قبائل الياو، الذي كان يستطيب المأكولات العربية، وأدخل بعض الألبسة السواحيلية وأعاد بناء قصره على النمط العمراني السواحيلي-العربي.[3]

وفي نفس الوقت، انتشر الإسلام في المناطق الداخلية البعيدة ووصل حتى منطقة البحيرات الكبرى عن طريق التجار السواحيليين. فكانت شعوب الديغو والسيغيجو أكثر القبائل الإفريقية تقبلا للعقيدة الإسلامية. أما اللغة السواحيلية، باعتبارها لغة التواصل التجاري الأكثر استعمالا في شرق إفريقيا، فقد انتشرت على نطاق أوسع من

[1]-Reginald, Coupland: The Exploitation of East Africa 1856-1890 The slave trade and the scramble, Faber and Faber Limited, London, 1939, pp:5-6.

[2]-John, Iliffe: (1979) op, cit, p: 42.

[3]-Ibid, pp:78-79.

نطاق انتشار الإسلام خاصة بين قبائل الساغارا والغوغو وبعض المجموعات التي تقطن في أوجيجي قرب بحيرة تنجانيقا.[1]

وباختصار، فإن معظم مدن الساحل الشرقي لإفريقيا ومناطقه الداخلية، أصبحت مع حلول أربعينيات القرن التاسع عشر، تدين بنوع من الولاء الرمزي لزنجبار- التي اتّخذها حكام آل بوسعيد قاعدة لحكمهم- وإن ظل زعمائها يتمتعون بالسلطة الحقيقية. وقد ازدهرت في هذه الفترة تجارة القوافل للمسافات طويلة، خاصة بين قبائل الياو والنيامويزي، وكان أحد أسباب ازدهارها الرئيسي هو تزايد الطلب على العاج والرقيق في الأسواق الإقليمية والدولية.

وجملة القول أن الحكام البوسعيديون قد نجحوا في وضع سياسة اقتصادية واضحة للسيطرة على الساحل السواحيلي وإدارته، من خلال تنصيب حكام عمانيين على المدن الهامة وإقامة حاميات عسكرية لحماية مصالحهم التجارية والاقتصادية، وكانت كل مدينة تتمتع بالحكم الذاتي في توافق مع المدن الأخرى، وكُلف حكامها بجمع وإرسال الرسوم الجمركية، التي تُفرض على الصادرات والواردات، لفائدة خزينة السلطان.

ويبدو أن السيد سعيد بعد أن ازداد نفوذه السياسي والتجاري في شرق إفريقيا، وأخذت هيمنته تضعف على مسقط - إذ أنه لم يكن من السهل عليه الاحتفاظ على كل من الإقليمين، الإفريقي والآسيوي، نظرا لصعوبة الملاحة إلا في أوقات معينة من السنة- قد قرر نقل عاصمة حكمه[2] من مسقط إلى زنجبار بعد أن انتهى من تشييد قصر له في أحد شواطئ الجزيرة.[3] وقد تبيّن فيما بعد، أن قراره هذا كان ذا تأثير حاسم للسيطرة على المنافع الاقتصادية للساحل كله.

---

[1]- John, Iliffe: (1979) op, cit, p: 42.

[2]- نقل السيد سعيد عاصمته إلى زنجبار عام 1837واستقر بها نهائيا في عام 1840.

[3]-Nicholls, C.S: op, cit, pp:80-81.

4- تأسيس سلطنة زنجبار الإسلامية:

كانت جزيرة زنجبار[1]، فضلا عن موقعها الاستراتيجي الهام قبالة ساحل مريما Mrima الذي أصبح آنذاك المنفذ الرئيسي لأهم البضائع القادمة من المناطق الداخلية، تتمتع بميناء طبيعي عميق يصلح لرسوا السفن الكبيرة، وفي نفس الوقت، تمتاز تربتها بخصوبة عالية وبمناخ رطب وحار مناسب لزراعة التوابل.[2] وجدير بالذكر أن زنجبار قبل أن تصبح عاصمة لدولة السيد سعيد كانت تدرّ بتجارتها، ومنتجاتها الزراعية، فوائد كبيرة لفائدة خزينة مسقط.

وقد شجعت سياسة الاقتصاد الحر التي اتبعها السيد سعيد على هجرة موجات بشرية كبيرة من العرب العمانيين والهنود، خاصة الأثرياء وأصحاب رؤوس الأموال منهم، نحو زنجبار التي سرعان ما فاقت كل المدن الساحلية والجزر المقابلة لها من حيث التطور الاقتصادي والسياسي، وأصبحت مع مرور الوقت، خصوصا بعد أن أصدر حاكمها العماني أوامره لجميع التجار الأجانب بعدم التعامل إلا معه، أكبر سوق مصدر للمنتجات الإفريقية كالعاج والرقيق والقرنفل وجوز الهند وجلود الحيوانات والصمغ الراتنجي وأهم مستورد للسلع المصنعة في أمريكا وأوروبا وآسيا ، كالأقمشة والسلاسل المعدنية والبارود والخرز الزجاجي.

والملفت للانتباه أن السيد سعيد قد تنبه مبكرا لخصوبة أراضي جزيرة زنجبار وبعض المناطق الساحلية. فشجّع رعاياه العرب والسواحيليين على زراعة شجرة القرنفل- التي جلبها أحد المزارعين العمانيين من جزيرة ريينيون الفرنسية في المحيط الهندي - وعلى

[1]- تعتبر جزيرة زنجبار ثاني أكبر جزيرة من حيث المساحة في الشاطئ الغربي للمحيط الهندي بعد مدغشقر، إذ تبلغ مساحتها 640 ميلا مربعا.

[2]-Ibid.

نطاق واسع، الشيء الذي سيكفل له في المستقبل احتكارا شبه كاملا للسوق العالمية للقرنفل[1].

وكان السلطان سعيد بحلول عام 1840 وحده يملك ما يقارب خمسة وأربعين مزرعة كبيرة لإنتاج وصناعة زيت القرنفل، الأمر الذي جعله أكبر مصدر له في البداية. وبلغ مجموع صادرات زنجبار في منتصف الأربعينات من القرن التاسع عشر ما قيمته 97000 دولار أمريكي، لتشكل صادرات القرنفل النسبة الأكبر من مجموع صادرات البلاد.[2]

والجدير بالذكر أن زراعة القرنفل كانت من الحوافز الرئيسية التي شجعت زيادة الطلب على الرقيق، لكثرة الأيدي العاملة في المزارع. وفي المقابل دفع بالأسر العمانية الكبيرة، بعد تزايد إمكانيات الربح، إلى الاستيلاء على المزيد من الأراضي الخالية، وتأجير وشراء الأراضي التي هي ملك للسكان المحليين في الجزيرة، وكان الأمر مماثلا في جزيرة بمبا القريبة جغرافيا من جزيرة زنجبار وبعض المناطق التي تتمتع أراضيها بخصوبة عالية على الساحل.[3]

ومع مرور الوقت، أصبح إنتاج القرنفل وصناعته هي العلامة البارزة في التاريخ الاقتصادي للجزيرة. وكانت تلك هي الخطوة الأولى في البداية لاقتصاد جديد هو اقتصاد المزارع الكبيرة الذي سيكمل تجارة القوافل للمسافات الطويلة عند سكان شرق إفريقيا.[4]

---

[1]- للإطلاع على مزيد من التفاصيل حول زراعة شجرة القرنفل في زنجبار وطرق إنتاجه وصناعته وتصديره أنظر/

- Frederick, Cooper: Plantation slavery on the East coast of Africa, Yale University Press, New Haven, 1977.

[2]-Ibid, p : 51.

[3]-Ibid, pp:58-59.

[4]-Ibid.

5- زنجبار والتجارة الدولية:

بعد توسع النشاط التجاري لزنجبار، حيث أصبحت مع منتصف القرن التاسع عشر أكبر مركز للمبادلات التجارية على الشاطئ الغربي للمحيط الهندي، عمل السلطان سعيد على جلب الاستثمارات الأجنبية إلى بلاده من خلال سياسته الاقتصادية القائمة على حرية التبادل التجاري. فوقع معاهدات تجارية وقنصلية مع الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1833، ومع بريطانيا سنة 1839، ومع فرنسا سنة 1844، ومع الدويلات الألمانية سنة 1859.[1]

وكانت أول دولة أجنبية دخلت إلى سوق شرق إفريقيا هي الولايات المتحدة الأمريكية من خلال معاهدة الصداقة والتجارة التي أبرمها السيد سعيد مع الوكيل التجاري الأمريكي إدموند روبرتس Edmond Roberts في سبتمبر 1833، ووافق عليها الكونغرس الأمريكي في جوان 1834.[2]

وسمحت هذه المعاهدة للأمريكيين بإقامة منشئات تجارية في أنحاء متفرقة من أملاك سعيد الإفريقية، مقابل تقديم الأمريكيين مساعدات حربية للسيد سعيد، لإتمام سيطرته السياسية والعسكرية على بعض المناطق الواقعة على الساحل وفي داخل القارة.

وسرعان ما نمت حركة السفن التجارية الأمريكية في شرق إفريقيا، حيث كانت تجلب إلى زنجبار السلع المصنعة مثل البنادق والبارود والقطن الأمريكي والأقمشة والسكر وبعض المواد المعدنية، وتعود محملة بالمنتجات الإفريقية وفي مقدمتها زيت القرنفل بعد ازدهار صناعته، وحسب المؤرخ نيكولس فقد بلغت قيمة الصادرات

[1]-Nicholls, C.S: op, cit, pp:331-332.

[2] -Ibid.

الأمريكية إلى زنجبار عام 1838، حوالي مائة ألف دولار أمريكي، وفي عام 1856 بـــ 550000 دولار أمريكي.[1]

والواقع أن هذا النشاط التجاري الأمريكي المتزايد في شرق إفريقيا، لم يرضي الحكومة البريطانية التي تخوّفت كثيرا من المنافسة الأمريكية لها في المحيط الهندي. فأرسلت في عام 1839 الضابط هارت Hart لعقد اتفاقية مع السلطان سعيد، مماثلة في شروطها للاتفاقية الأمريكية. وفي العام التالي تمكنت من فتح قنصلية لها في زنجبار.[2]

والجدير بالذكر أن الوجود البريطاني في شرق إفريقيا كان سابق للوجود الأمريكي، من خلال نشاط رعاياهم الهنود الذين شجعهم السيد سعيد على الاستيطان في الساحل وزنجبار، حيث كان معجباً بفطنتهم التكتيكية وخصوصا في المجال المالي، فقرر الاستفادة منهم في التنمية التجارية. وقد إشتغل التجار الهنود، الذين كانوا يعرفون بين سكان شرق إفريقيا بالبانيان Banians، كوكلاء جمركيين، ووسطاء بين التجار السواحيليين والأجانب، ممولين، مربين وتجار جملة. ومع مرّ السنين تزايدت مداخليهم مع تزايد الرسوم الجمركية. وبالرغم من شكاوى التجار العرب العمانيين والسواحيليين من سيطرة البانيان على جميع المعـــــــاملات التجارية والمالية الخارجية، إلا أن السلطان تجاهل شكاواهم تقرباً من لندن.[3]

وقد ظلّ جميع سلاطين زنجبار حتى قيام الاستعمار الأوروبي، مدينين لملتزمي الجمارك البانيان. إلا أن هذه المكانة الاقتصادية والاجتماعية لم تكسبهم أي تأثير أو نفوذ سياسي في شرق إفريقيا. ولكن ستزداد أهميتهم كثيرا في فترة الاحتلال الألماني، حيث يتم الاستعانة بهم في الأعمال التجارية والشؤون المالية.

---

[1]-Ibid, p: 187.

[2]-Marsh, Zoe(eds): East Africa Through Contemporary Records, Cambridge University Press, London, 1961, p: 102.

[3]- Marsh, Zoe(eds):op, cit, pp : 106-107.

وقد طالبت فرنسا، التي كانت تعمل على تقوية نفوذها في شرق إفريقيا، بامتيازات مماثلة. وكان التوتر بينها وبين بريطانيا هو الذي أدى إلى عدم تحمس السلطان سعيد كثيرا لتوطيد علاقـاته مع باريس. غير أن الضغوط السياسية والاقتصادية التي مارستها الحكومة الفرنسية ابتداء من عام 1840م على رعاياه في آسيا وإفريقيا، اضطرته إلى التوقيع معها على معاهدة التجارة والصداقة في نوفمبر 1844م، والى فتح قنصلية لها في زنجبار مع نهاية العام نفسه.[1]

وبالرغم من هذه العلاقات الدبلوماسية والتجارية الجديدة، استمرت بريطانيا في تغذية مخاوف السلطان سعيد من مخططات الفرنسيين التوسعية. الأمر الذي أزعج فرنسا كثيرا، وحاول قنصلها في زنجبار تحريض بعض حكام مدن الساحل على إعلان استقلالهم عن السلطان سعيد مقابل تأييد فرنسا لهم، ودعمهم اقتصاديا وعسكريا. واضطر سعيد أخيرا، بعد أن فضل البقاء على الحياد لفترة طويلة، قبول الدعم العسكري البريطاني، والعمل بنصيحة قنصلها في زنجبار آتكنز هامرتون Hamerton برفع العلم العماني فوق كل أملاكه الإفريقية.[2]

والواقع أن هذه الخطوة التي اتخـذها سعيد ضد الفرنسيين أدت إلى تقوية النفوذ السياسي البريطاني في شرق إفريقيا، حتى أصبح سلاطين عمان، حسب تقرير القنصل الأمريكي في زنجبار عام 1851، يعملون تحت توجيه القناصل البريطانيون.[3] أما معاهدة زنجبار مع الدويلات الألمانية فلم تعقد إلا في سنة 1859، أي بعد وفاة السيد سعيد بثلاث سنوات.

---

[1]- Archive National (BNF): Lettre du Ministre des Affaires étrangers au Ministre du commerce, le 26 Juillet 1845, Paris, F/128972.

- Nicholls, C.S: op, cit, p: 187.[2]

[3]-Ibid.

وعلى أي حال، فقد كانت هذه المعاهدات التجارية والدبلوماسية التي أبرمها السيد سعيد مع الدول الأجنبية،[1] من العوامل المهمّة التي ساهمت في ازدهار وتطور سلطنة زنجبار، وتوسعها في التجارة الدولية خصوصا بعد أن أُلحقت مناطق داخل القارة شيئا فشيئا بالشبكة التجارية التي كانت قد أقيمت بالفعل على الساحل نتيجة تطور تجارة طرق القوافل للمسافات الطويلة. وكانت هذه الطرق تمتد من مدن الساحل كاباغامويو، بانغاني، تانغا، كيلوا ودار السلام إلى معظم المناطق الواقعة داخل القارة الإفريقية والتابعة اليوم لتنزانيا، شرقي الكونغو، رواندا، بورندي، أوغندا، كينيا، شمال الموزمبيق، وشمال زامبيا ومالاوي. كلها تتصل بزنجبار عاصمة سعيد، ومن ثم تتفرع في شبكة التجارة العالمية. وقد قدرت الأرباح التجـارية الناتجة عن حصيلة الجمارك السنوية لزنجبار في عام 1869 بـ 65000 جنيه إسترليني، وارتفعت إلى مائة ألف جنيه إسترليني مع حلول عام 1876.[2]

ومن خلال ما سبق ذكره، نستنتج أنه بفضل جهود السلطان سعيد وحكمته الفائقة، أصبحت زنجبار أكبر مركز للتجارة الدولية العابرة للمحيطات في شرق إفريقيا والجزء الغربي من المحيط الهندي. غير أن هذه السياسة الاقتصادية والتجارية التي اتبعها سعيد أدت إلى استدراج اقتصاد شرق إفريقيا إلى داخل النظام الاقتصادي الرأسمالي الامبريالي القائم في أوروبا وأمريكا قبل أن يقوم الحكم الاستعماري الأوروبي فعليا في المنطقة.

---

[1]- سابق، ص: 75.

[2]- Reginald, Coupland: (1939) op, cit, p-p: 227-320.

6- التغلغل الأوروبي وإلغاء تجارة الرقيق في شرق إفريقيا:

استغلت الدول الأوروبية، خاصة بريطانيا وفرنسا، معاهدات الصداقة والتجارة التي أبرمتها مع السلطان سعيد في الأربعينيات من القرن التاسع عشر، وزادت من ضغوطها المباشرة عليه من أجل حصولها على مناطق نفوذ في شرق إفريقيا. وفرنسا، التي كانت قد أبرمت مع زنجبار معاهدة عام 1844، أرادت بعدها الاستيلاء على بعض الجزر القريبة من ساحل شرق إفريقيا والتوسع في أملاك السلطان الإفريقية، والحصول على امتيازات تجارية إضافية، ولم تتردد في إرسال بعض السفن الحربية إلى سواحل شرق إفريقيا لتظهر للسيد سعيد وحلفائه البريطانيين مدى استعدادها لهذه الخطوة.

وبالموازاة مع هذا، كانت بريطانيا تراقب بعين الحذر نشاط الفرنسيين في المنطقة، وبحجة حماية رعاياها الهنود في شرق إفريقيا زادت من ضغوطها على السلطان، وحصلت منه على تنازل عن بعض الجزر في المحيط الهندي لكي تتخذها قواعد لها، وتؤكد سيطرتها الفعلية على المنطقة. أما الدويلات الألمانية(هامبورغ)، فقد توسع نشاطهم التجاري في المنطقة، وأصبحت شركة أوزوالد وليام O'swald William من أكبر المتاجرين في الأصداف والأقمشة القطنية الرخيصة والأدوات المعدنية في شرق إفريقيا.

والواقع أن فرنسا كانت في هذه الفترة لا تهتم بشرق إفريقيا كاهتمامها بمدغشقر وجزر القمر من جهة، ومن جهة ثانية كانت تعلم أن إصرارها في الحصول على امتيازات إقليمية في شرق إفريقيا قد يؤدي إلى حرب بينها وبين بريطانيا. وعلى هذا الأساس، توصلت إلى اتفاق مع بريطانيا عام 1862، تتعهد من خلاله الحكومتان الفرنسية والبريطانية باحترام استقلال أراضي السلطان الإفريقية والأسيوية.[1]

[1]- Edward, Sir Hertslet: *The Map of Africa by Treaty*, vol.2, Second Edition, N^e.103 to 208, London, 1896, p: 547.

ومع أن هذا الاتفاق كان في صالح سلطنة زنجبار، ولا يسمح لبريطانيا بالمطالبة بمناطق نفوذ جديدة في المنطقة. إلا أنه تحت غطاء محاربة تجارة الرقيق وإقامة التجارة المشروعة، تبين فيما بعد أن البريطانيين يخططون للاستيلاء على شرق إفريقيا كلها خلال فترة قصيرة.

وكانت هذه الروح الإنسانية المتمثلة في إلغاء تجارة الرقيق وإقامة التجارة المشروعة، ناتجة أساساً عن التوسع الرأسمالي الأوروبي الناجم عن الثورة الصناعية التي شهدت تطورا كبيرا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وأدت إلى استحداث إمكانيات إنتاجية جديدة، جعلت استخدام الرقيق كيد عاملة أقل فائدة من ذي قبل، ومن ثم ظهرت مواقف أوروبية جديدة اتجاه هذه التجارة.

ووفقا لما ذهب إليه الباحث البريطاني إريك وليامز، فإن إلغاء تجارة الرقيق من طرف الساسة البريطانيين كان في المقام الأول نتيجة مباشرة لضرورات اقتصادية واجهت بريطانيا بوصفها بلداً صناعياً ناشئاً. [1]

وقد نجحت بريطانيا، التي ألغت تجارة الرقيق نهائيا في مستعمراتها عام 1834، في إقناع الدول الأوروبية بإلغائها عبر سواحل المحيط الأطلسي الغربية والشرقية. ومن ثم حولت انتباهها في الأربعينات من القرن التاسع عشر إلى شرق إفريقيا، حيث عملت جاهدة على تقليص النطاق الذي يُسمح فيه بنقل الرقيق في المنطقة الخاضعة لسيطرة السلطان سعيد.

وكان هامرتون، القنصل البريطاني في زنجبار منذ عام 1841، قد نجح، بعد مفاوضات طويلة، في إقناع السلطان وتوقيع معه معاهدة سنة 1845، اشتهرت فيما بعد بمعاهدة هامرتون، منعت تصدير الرقيق خارج ممتلكات السلطان الإفريقية، كما

---

[1]-للإطلاع على مزيد من التفاصيل أنظر/

-Moses, Nwulia: *Britain and Slavery in East Africa*, Three continents Press, Washington, 1975.

أجازت للدوريات البحرية البريطانية مصادرة المراكب العمانية التي تخترق بنود هذه المعاهدة. وتعهدت بريطانيا، في مقابل موافقة السلطان على هذه القيود الجديدة، بالوقوف إلى جانبه ومساعدته على الاحتفاظ بممتلكاته ضد أي تدخل أوروبي.[1]

وفي الحقيقة، ظلّ تأثير هذه المعاهدة من الناحية العملية محدودا، طالما ظلت إمبراطورية السلطان سعيد تمتد من شرق إفريقيا إلى الخليج العربي، فضلا عن عدم رغبته في وقف تلك التجارة التي تعتمد عليها مزارع القرنفل في زنجبار وبمبا. ذلك أن اقتصاد المزارع الكبيرة المزدهر كان يعتمد أساسا على تشغيل الرقيق، وفرض أي قيد على حرية المتاجرة في الرقيق معناه سيؤدي إلى انهيار تجارة القرنفل، التي كانت تشكل ثلث صادرات البلاد، ويحد من نمو اقتصاد شرق إفريقيا.

وبما أن تجارة الرقيق كانت لا تزال مشروعة على ساحل القارة الشرقي، فقد ظل نشاط المزارع الكبيرة يتوسع باستمرار، وكان بوسع التجار نقل الرقيق على مسافات طويلة على طول الساحل، ومن ثم نقلهم إلى زنجبار وبمبا. والشيء الذي ساهم في ارتفاع تجارة تصدير الرقيق هو انتشار الحروب في المناطق الداخلية بين القبائل الإفريقية والتي كان أهمها غزو قبائل النغوني Ngoni للمناطق الجنوبية، مما زاد في أعداد الأسرى المسترقين الذين سيحولون إلى تُجّار الرقيق.[2]

ولم يكن في وسع السلطان ودوريات البحرية البريطانية مراقبة الطرق الجديدة التي استحدثها تجار الرقيق. ويقول كوبر أن تجارة تصدير الرقيق إلى زنجبار في هذه الفترة كانت مرّبحة ولم تكن معاهدة هامرتون كافية على الإطلاق للحد من الطلب المحلي والخارجي المتزايد على الرقيق.[3]وتشير التقديرات أنه في الفترة ما بين عامي 1860

[1]- Reginald, Coupland: *The British Anti-Slavery movement*, Clarendon Press, Oxford, 1933, pp: 203-204.

[2]-Ibid.

[3]- Frederick, Cooper: op, cit, pp:43-44.

و1870 وصل ما بين 30000 و35000 فرد إلى زنجبار والموانئ التي كانت تخضع لها.[1]

وبعد وفاة السلطان سعيد سنة 1856، نجحت الدبلوماسية البريطانية في تقسيم إمبراطوريته إلى قسمين، القسم الأسيوي وعاصمته مسقط، والقسم الإفريقي وعاصمته زنجبار. ويبدو أن السيد ماجد الذي ورث القسم الإفريقي، كان مثل أبيه، غير متحمّس للتخلي عن تجارة الرقيق. وتصدى للضغوط البريطانية ورفض عقد معاهدات جديدة معها تمنع أو تحد من المتاجرة بالرقيق، وأعلن استحالة ذلك لأن النظام الاقتصادي لزنجبار وسائر مدن شرق إفريقيا، قائم أساسًا عليها.[2]

بل أن تمسكه بهذه التجارة أدى به إلى بناء مدينة جديدة على ساحل مريما Mrima على المحيط الهندي لتسهيل عملية التبادل التجاري، سماها دار السلام.[3] ولكن مشروعه هذا لم يكتمل بسبب وفاته عام 1870م.

---

[1]- Renault, F et Daget, S : La traite des esclaves en Afrique, Caire, 1980, p-p : 42-70. See Also Reginald, Coupland: (1939) op, cit, pp:221.

[2]-Marsh, Zoe(eds):op, cit, pp: 66-67

[3]- شجّع السيد سعيد، منذ اتخاذه زنجبار عاصمة لدولته، العرب والهنود على الهجرة والاستقرار في المناطق الساحلية، للاستثمار في الزراعة وتجارة القوافل للمسافات الطويلة. وقد هاجر عدد كبير منهم من جزيرتي زنجبار وبمبا، بعد أن تزايدت الضغوط الأوروبية السياسية والاقتصادية على السلطان في زنجبار من جهة، وتراجع إيرادات الجزيرة بعد انفصالها عن مسقط من جهة، ثانية. ولهذا، فقد توافد عدد كبير من الأسر العربية والهندية الثرية منذ أربعينيات وخمسينيات القرن التاسع عشر على المنطقة الواقعة قبالة جزيرة زنجبار على ساحل مريما، بين مدينة كيلوا جنوبا ومدينة باجامويو شمالا. وكونوا، مع قبيلة مزيزما Mzizima الإفريقية المحلية، نواة مدينة حضرية متطورة. وكانت هذه المنطقة، فضلا عن ميناءها الطبيعي الممتاز وخصوبة تربتها، قد أصبحت من المنافذ الرئيسية المهمّة لعمليات التبادل التجاري وتجارة الترانزيت بين البضائع القادمة من الأسواق الخارجية والبضائع القادمة من المناطق الداخلية. وعليه، سرعان ما فاقت جميع المدن الساحلية من حيث التطور الاقتصادي والتجاري، وأصبح ميناءها من أهم موانئ شرق إفريقيا نشاطا، بحيث أضحى أكبر مركز لعمليات التبادل التجاري على الشاطئ الغربي للمحيط الهندي، حتى سماه السلطان السيد ماجد ابن سعيد عام 1962 باسم ميناء السلام Harbour of Peace بالسواحيلية (bandar as-salâm). وبعد أن شهدت المدينة توسعًا في بنيتها التحتية واجتذبت العديد من السكان من مختلف الأعراق والإثنيات، وتحولها إلى ملاذا آمنا للمستثمرين والتجار المحليين والأجانب، أطلق السيد ماجد رسميا عليها عام 1965 ، اسم مدينة دار السلام، ولم تنتهي الأشغال من توسعتها إلا في سنة 1887. وبعد تولي الجنرال هرمان فون ويسمان V.Wissmann إدارة مستعمرة شرق إفريقيا الألمانية ، اختارها كعاصمة لحكمه في الأول من شهر جانفي عام 1891. راجع للمزيد من التفاصيل/

-James, R.B (eds): Dar es salaam, Histories from an emerging African metropolis, Mkuki na Nyota Publishers, Dar es salaam, 2007, p-p:16-30.

ولم تتمكن بريطانيا من إلغاء تجارة الرقيق في شرق إفريقيا إلا في سنة 1873، حين تمكن القنصل البريطاني الجديد في زنجبار جون كيرك John Kirk، بعد جهود دبلوماسية مكثفة ووعيد باستخدام القوة، في التوقيع مع السلطان برغش ابن سعيد – خليفة السيد ماجد- معاهدة جديدة تمنع الاتجار بالرقيق عن طريق البحر.[1]

وقد يمكن تفسير هذا التأخير، بأن داخل القارة بقي مجهولا بالنسبة لدعاة محاربة تجارة الرقيق الأوروبيين، ولم يكونوا على علم بتأثيرات التجارة العربية، إلى أن اكتشفها دافيد ليفنغستون في منتصف خمسينيات القرن التاسع عشر أثناء رحلاته الاستكشافية إلى شرق إفريقيا ووسطها.

والملفت للانتباه، أنه حتى بعد التوقيع على هذه المعاهدة، استمر تُجار الرقيق في تجميع أعداد كبيرة من العبيد في المدن الساحلية، ومن ثم تهريبهم عن طرق سفن صغيرة في ظلام الليل باتجاه جزيرة زنجبار وبمبا.[2] وبالرغم من مواصلة القنصل البريطاني في زنجبار جون كيرك ضغوطه على السلطان لحمله على إصدار مرسوم سنة 1876 يحضر تجارة الرقيق نهائيا على أرض القارة، فقد تواصل جلب الرقيق إلى مزارع القرنفل في الجزر وبعض مناطق الساحل عن طريق استخدام طرق متخفية، بعيدة عن أنظار جنود السلطان ودوريات البحرية البريطانية.[3] وظلّت تجارة الرقيق تشكل النشاط الرئيسي في شرق إفريقيا، استمرت لفترة طويلة بعد بداية الحكم الاستعماري الألماني والبريطاني.

[1]- Reginald, Coupland: (1933) op, cit, pp: 216-217.

[2]-Ibid, pp: 217-218.

[3]- Reginald, Coupland: (1933) op, cit, pp:217-218.

خاتمة:

ليست إفريقيا قارة تاريخية... إذ لا تبدي تغييرا ولا تطورا... والشعوب السوداء ليس في وسعهم أن يتطوروا ولا أن يتأدبوا...نراهم نحن اليوم على هذه الحال...وهم كانوا دائما كذلك..." هذا ما أشار إليه هيجل (1770-1831) في كتابه فلسفة التاريخ، وهذا ما استمر عليه سلفه فيما بعد، فالي غاية ستينيات وسبعينيات القرن العشرين، كان الكثير من الأخصائيين والباحثين الغير الإفريقيين ولاسيما الأوروبيين منهم قد ظلوا ينحازون إلى القول بأن المجتمعات الإفريقية لا يمكن أن تكون موضوعا للدراسة العلمية، وأن إفريقيا لا يمكن أن يكون لها تاريخ.

وهذا يعتبر إجحافا وتزييفا للحقائق التاريخية وإنكارا للتراث الإفريقي المادي واللامادي الكبير خدمة للأغراض الاستعمارية الامبريالية. فأعمال هيردوت وهيبون وبلين القديم واسترابون وآخرون لها قيمة عظيمة في التاريخ القديم. والآثار التي قدمها المسعودي والبكري والأدريسي والعمري والحسن الوزان المعروف في أوروبا بليون الإفريقي والمؤرخ العظيم ابن خلدون وصاحب تاريخ الفتاش وتاريخ السودان لها أعظم الأهمية ليس في تاريخ إفريقيا فقط وإنما في التاريخ العالمي ككل.

وهناك ظاهرتين أساسيتين يمكن استنتاجهما من خلال تناول تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء وأثرت تأثيرا عميقا فيه. الظاهرة الأولى: تمثلت في انتشار الإسلام واتّساعه السياسي وتطور عقائده بين المجتمعات الأفريقية وما نتج عنه من ظهور ممالك وإمبراطوريات افريقية إسلامية عظيمة ساهمت في إدخال القارة السمراء في التاريخ، هذا بشهادة البحوث المعاصرة التي أصبحت تهم كثيرا بدراسة تاريخ الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء. أما الظاهرة الثانية: ما اقترنت به تجارة الرقيق والاستعمار الامبريالي وما صاحبه من ظهور الأفكار العنصرية التي نتج عنها الازدراء واحتقار كل ما هو إفريقي وامتد تشويهها إلى مفاهيم كتابة التاريخ ذاتها.

الملاحق

الملحق رقم 1: خريطة إفريقيا توضح استقرار المجموعات البشرية حوالي 8000 سنة قبل الميلاد.

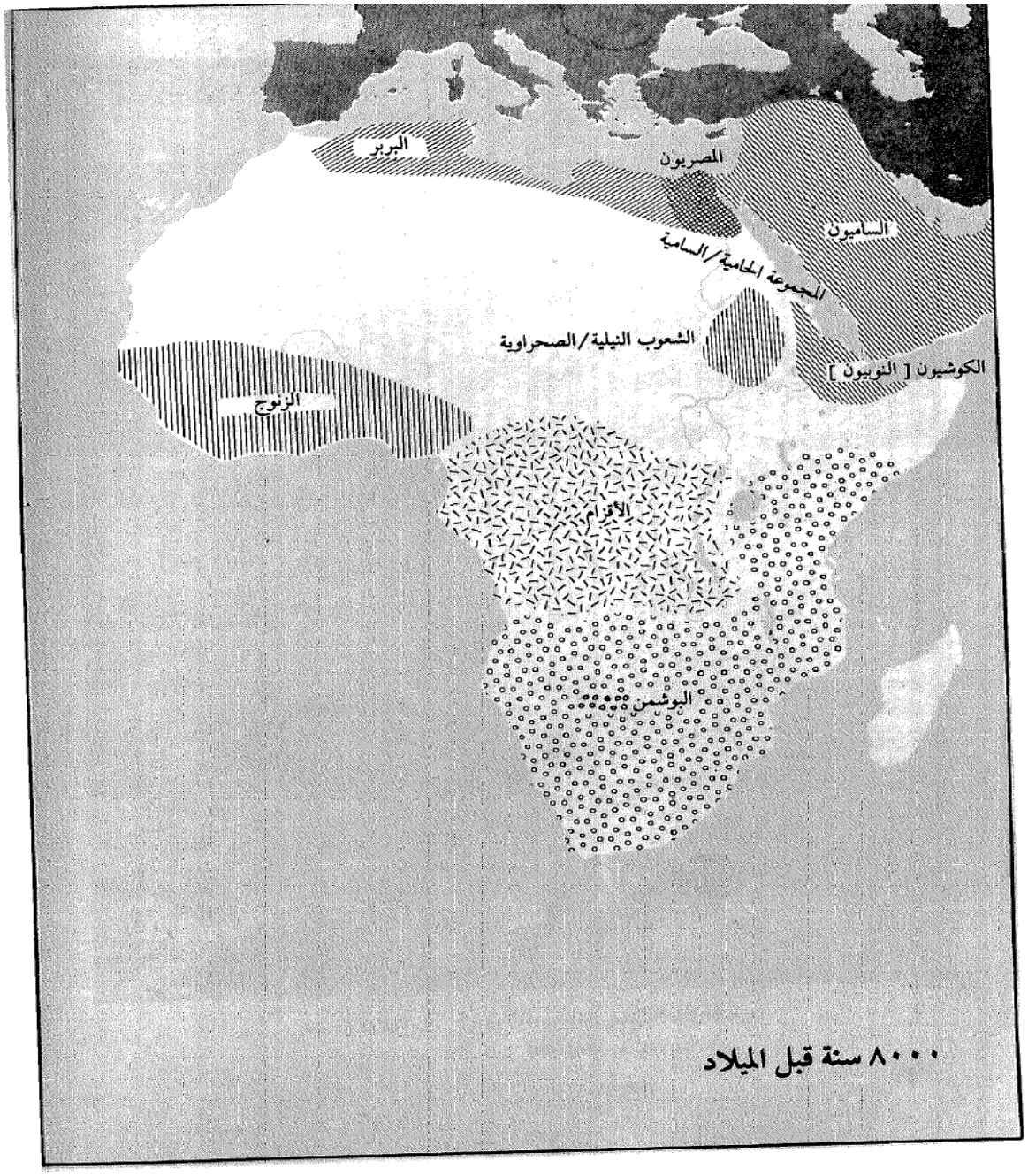

المصدر: ماكيفيدي (كولين): مرجع سابق: ص:34.

الملحق رقم 2: خريطة توضح الممالك الإفريقية والإسلامية وبداية التواجد الأوروبي في القارة مع بداية القرن الثامن عشر الميلادي.

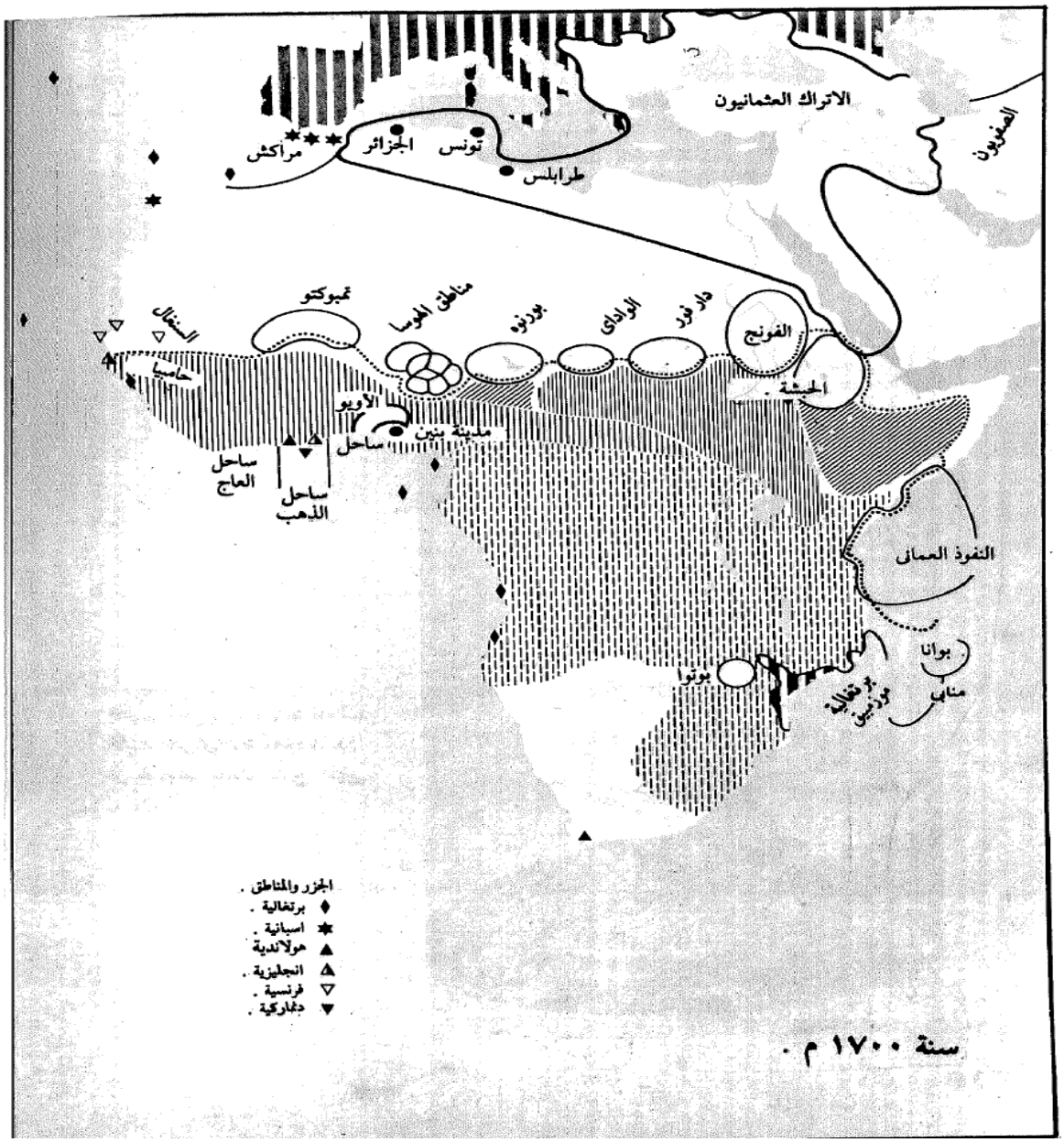

المصدر: ماكيفيدي (كولين): مرجع سابق: ص:144.

الملحق رقم 3: خريطة توضع انتشار الإسلام في إفريقيا والمناطق التي أُدخلت في الإسلام حوالي القرن الحادي عشر الميلادي.

المصدر: الفاسي محمد وإيفان هربك: مراحل تطور الإسلام وانتشاره، تاريخ إفريقيا العام، الجزء(3)، مطبعة حسيب دورغام وأولاده، لبنان، 1998، ص: 80.

الملحق رقم 4: خريطة توضع انتشار الإسلام في إفريقيا والمناطق التي أُدخلت في الإسلام حوالي القرن السادس عشر الميلادي.

المصدر: الفاسي محمد وإيفان هربك: مراحل تطور الإسلام وانتشاره، تاريخ إفريقيا العام، الجزء(3)، مرجع سابق، ص:98.

الملحق رقم 5: خريطة توضح الطرق الرئيسية العابرة للصحراء باتجاه إفريقيا جنوب الصحراء في القرن الرابع عشر الميلادي.

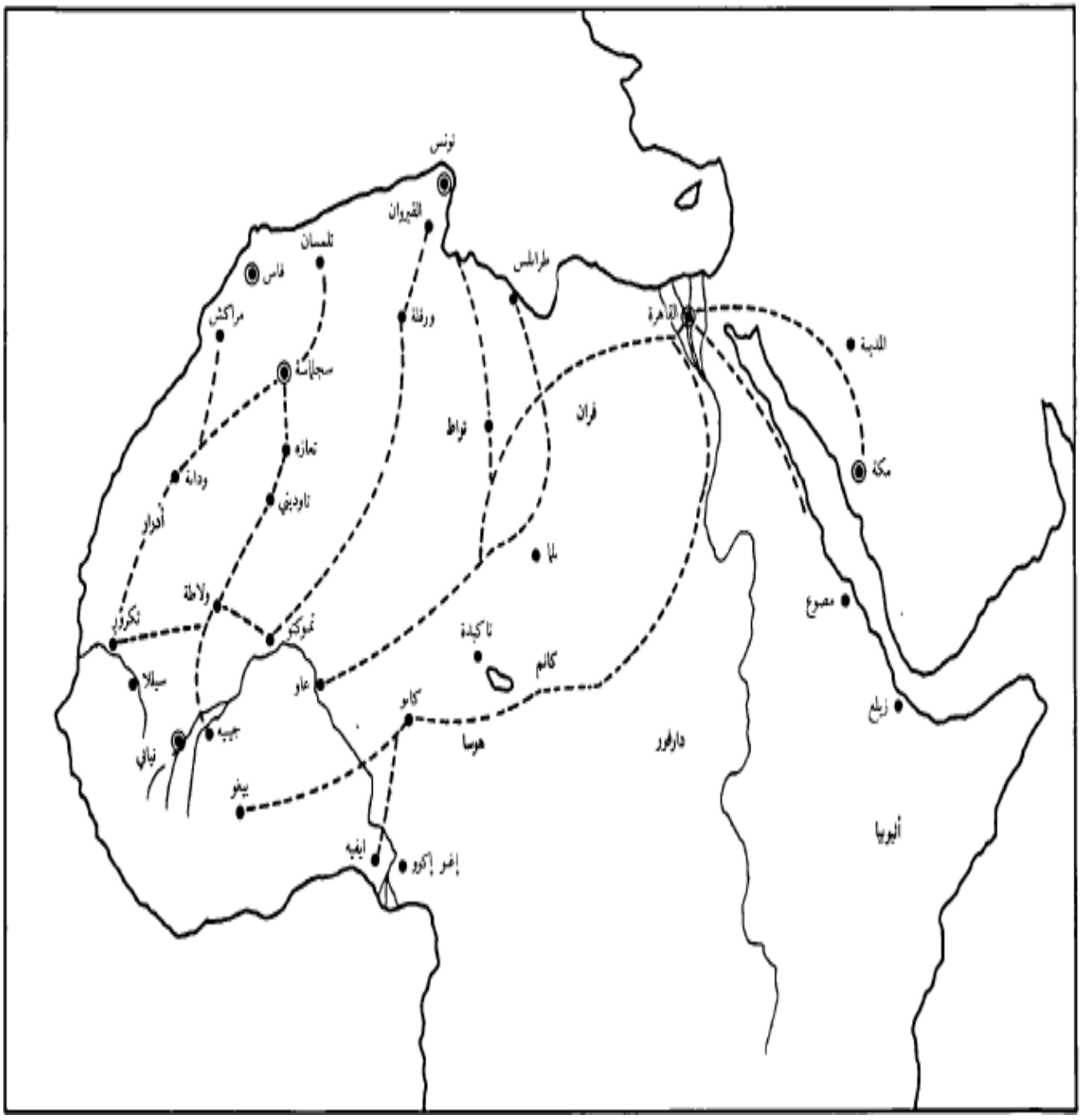

الملحق رقم6: السودان الغربي (غرب افريقيا) خلال القرن الرابع عشر الميلادي

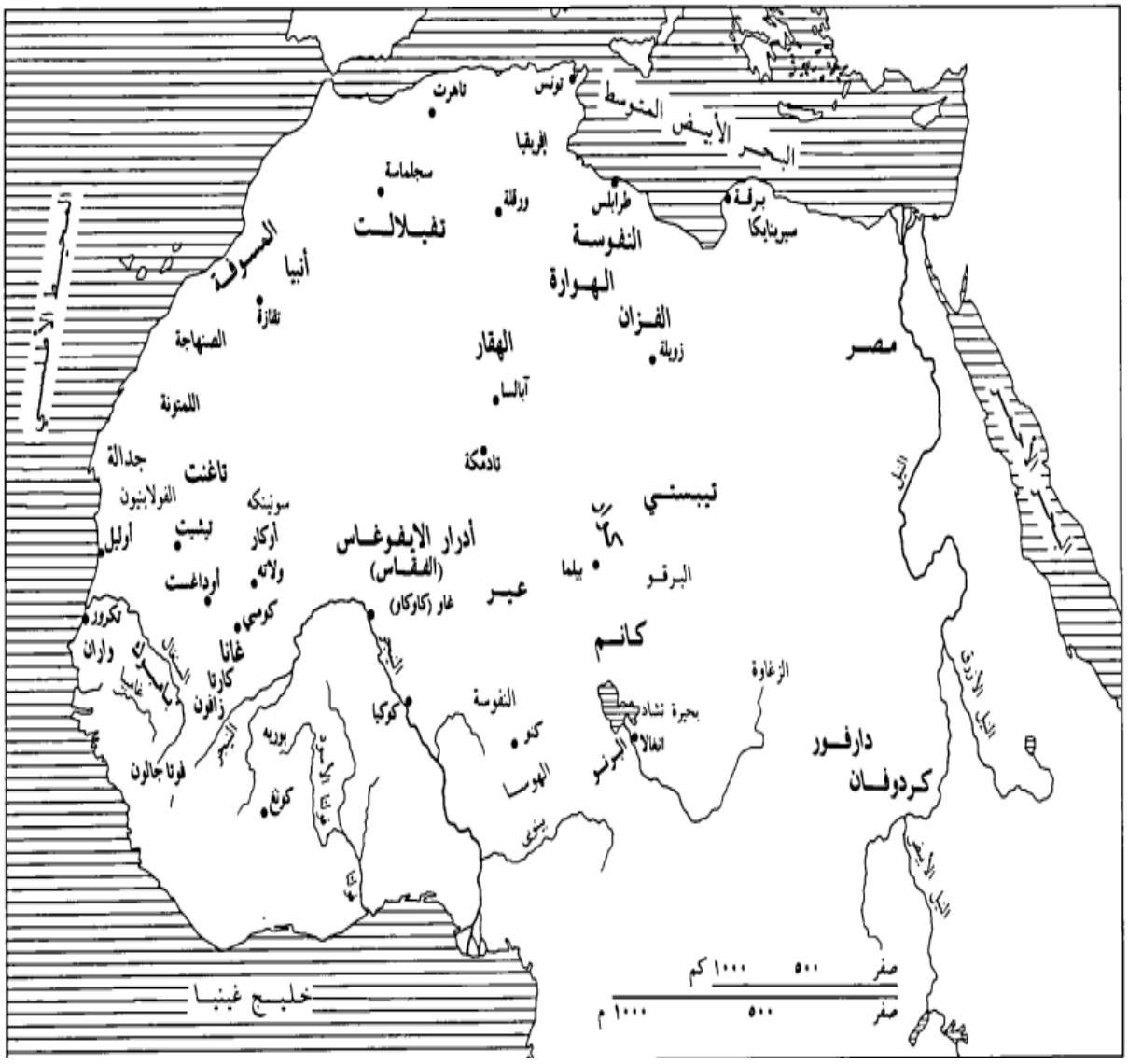

المصدر: الفاسي محمد وإيفان هربك: مراحل تطور الإسلام وانتشاره، تاريخ إفريقيا العام، الجزء(3)، مرجع سابق، ص:147.

الملحق رقم7: صورة للشيخ محمد الأمين الكانمي (ملك مملكة كانم-بورنو)

المصدر: لاست. م: دولة الخلافة في سوكوتو وبلاد البورنو، المصدر، تاريخ إفريقيا العام، الجزء(6)، مطبعة حسيب دورغام وأولاده، لبنان، 1998، ص: 663.

الملحق رقم 7: مملكة كانم-برنو والمناطق المحيطة بها حوالي القرن الثامن عشر الميلادي.

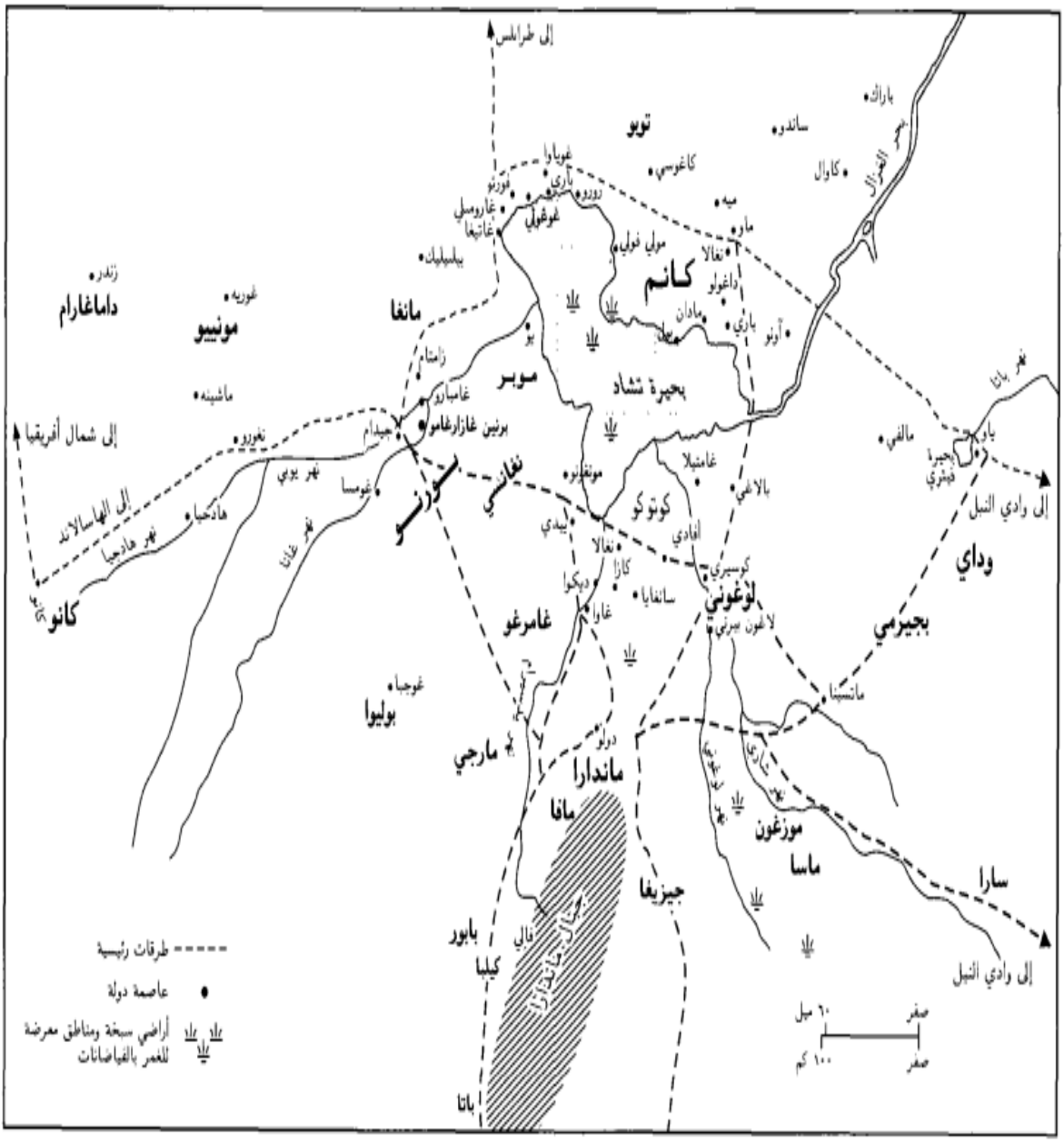

المصدر: باركيندو.ب: كانم-برنو: علاقتها بالبحر الأبيض المتوسط وبجيرمي وسائر دول حوض التشاد، تاريخ إفريقيا العام، الجزء(5)، مطبعة حسيب دورغام وأولاده، لبنان، 1998، ص: 556.

الملحق رقم 8: الروابط بين مملكة كانم-برنو وشمال افريقيا خلال القرن الثامن عشر الميلادي.

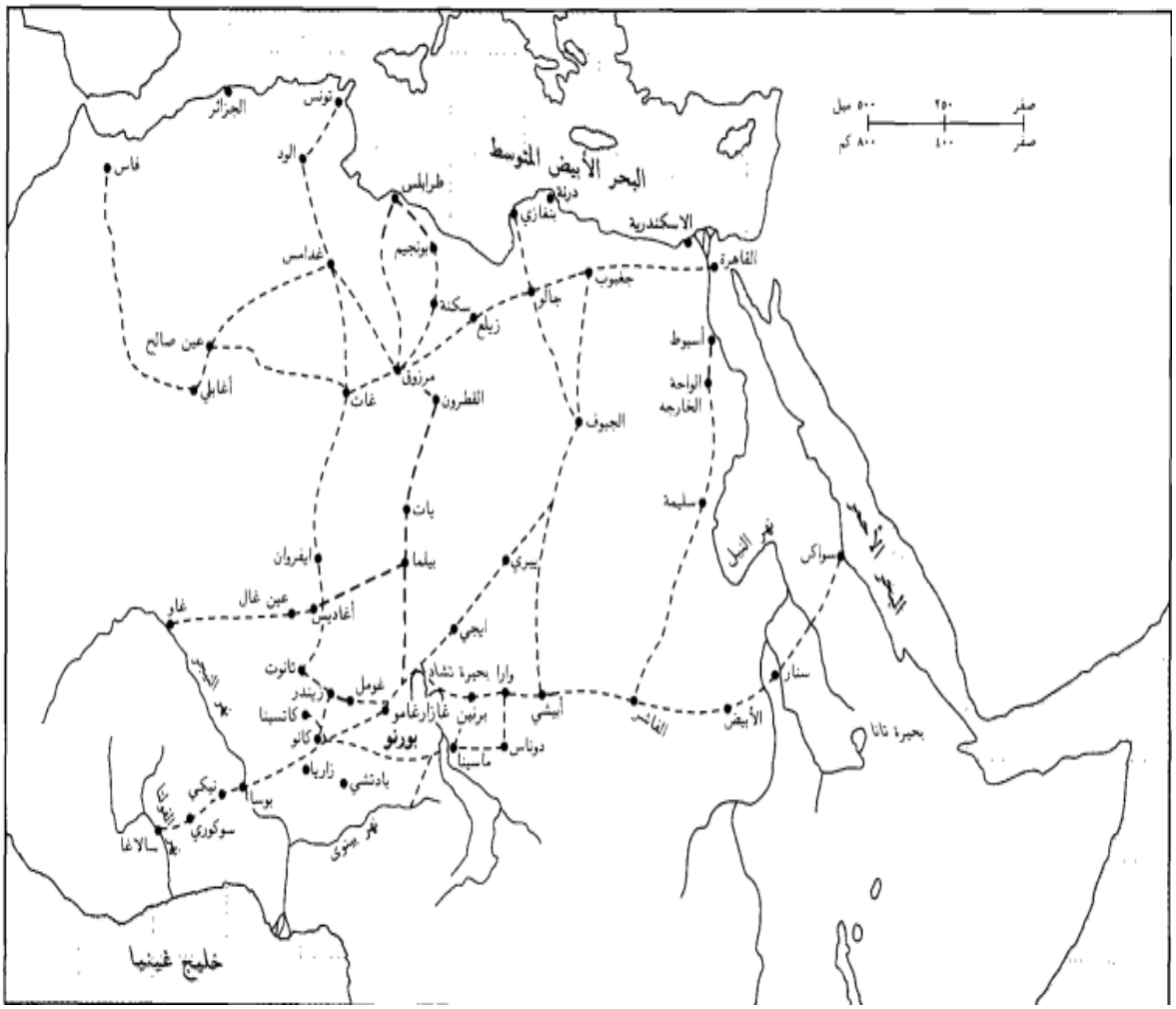

المصدر: باركيندو .ب: كانم-برنو: علاقتها بالبحر الأبيض المتوسط وبجيرمي وسائر دول حوض التشاد، تاريخ إفريقيا العام، الجزء(5)، مرجع سابق، ص: 556.

الملحق رقم 9: رسالة أحمد المنصور الذهبي إلى الأسكيا إسحاق الثاني حاكم مملكة سنغاي

رسالة أحمد المنصور الذهبي إلى الأسكيا إسحاق الثاني:

من إنشاء كاتب الدولة السعدية أبو فارس الفشتالي

إلى رئيس كاغو وكبيرها والقائم بأمرها وتدبيرها إسحاق سكيه بن داوود وصل الله لكم أسباب هدايته وتوفيقه وجعلكم ممن انتمى إلى حزب هذا الجناب النبوي الكريم وفريقه سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أمّا بعد حمدا لله الذي صرف لهذه الإمامة النبوية الكريمة وارثة الأرض ومن عليها وجعل زمام الأمة بيدها والنظر فيما لهم وعليهم موكولا إليها والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد المبعوث من أطيب المعادن وأشرف من تتصرف إليه الوجوه من كل ظاعن وقاطن والرضى عن آله الأئمة الأعلام خلفاء الإسلام وأصحابه الذين عزروه ونصروه بالسنان والحسام وصلة الدعاء لهذا المقام العلى المامي النبوي المنصوري الأحمدي الحسني الفاطمي بنصر تدور به الأفلاك وتستنزل به الملائك وتخضع له الأملاك.

فكتابنا هذا إليكم من حضرتنا العلية وكرسي إيالتنا العلوية ومقر إمامتنا الهاشمية الحسنية مراكش حاطها الله ونعم الله على هذا المقام المنصور ضافية السربال وافية السيال والاعتناء بحفظ نظام الدين وتشييد قواعده من كاسه العنوق والاصطباح والاهتمام بمصالح الأمة المحمدية مستغرق فيها المساء والإصباح وإرسال سوابق الفكر في تتبع المصالح التي تتعلق بها أعلام التوحيد على أهل التثليث هو الديدن في الغد والرواح كل ذلك علم الله لنقدم في هذا الدين المحمدي المقام الشريف ونبرا على أكمل الوجوه من عهدة التكليف فقد نيطت بنا التكاليف الشرعية التي لم تنط بغيرنا أي مناط وارتبطت بنا أي ارتباط ولا مطمع في التقصي من رقبتها والانفلات من عهدتها إلا بموصلة الجد في السالمات والأنا وأعمال الحزم والعزم وترك الهوينا ومتى يقع الخلاص من أعباء عرض حملها على السموات والأرض فأبت ووعدها بالثواب عليها خالق العالم فتابت فإليه سبحانه نمد أكف الضراعة في تيسير الخلاص من هذه الأثقال ومنه نستمد الأمانة التي بها تنال الأمال وغير خفي على من ذاق حلاوة الإيمان وخالطه بشاشته قلبه وألقى إلى هواتف الشريعة كتابا وسنة سمعه ولبه.

إننا بهذه الأثقال دون غيرنا مطالبون وبأعبائنا مضطلعون إذ الناس في هذا الأمر تبع ونحن المتبعون وأن طاعة هذا الأمر الذي تقلدنا قلادته مفروضة على أهل الأرض وواجبة على كل من أحاط من أسياج المعمور على الطول والعرض لما اختصنا الله به من إمامة الجماعة التي أوتيتها حكم الولاء والكفالة ووراثة الأرض ومن عليها لا عن كلالة وقلدنا من حماية بيضة الإسلام والذب عن أمة نبيه عليه السلام وأنى لمن بهذه المنزلة أن تطرق أجفانه سمة إغتماض أو يتأتى له عن رعى المصالح الخاصة والعامة. وصدود أو اعراض عدو الدين إلى شق عصى الإسلام وإفساد بيضته على طول المدى فاغرفاه معمور الفكر والبال فارغ مما سواه ولهذا ومن أجله لم تزل بحمد الله سهام أنضارنا السديدة إلى أهداف مصالح الأمة المحمدية مفوقة وأرونا ولا كفران لله بحوله وقوته إلى صوب الصواب موفقة نعثر منها على ما جر عليه قبل الأيام ذيل الأغفال فأسدل دونها رواق الإهمال وكلما أثرنا من مهامه الفيح قنصا وقعنا به على مهارق الأعلام والتعريف لكم ولغيركم ممن أوجب الله عليه الإنصات لأمرانا قصصا لتلبى في الأقطار والآفاق دعوتنا إليه المطاعة وتعطى إشارتنا به على الأنام ما يجب لها من الشهرة المقرونة بامتثال والإذاعة ويشتدّ به أزر هذه العصابة الإسلامية وهذه الجماعة ويحصل لها به بعد سبر غوره الفرح والاغتباط ولنا إن شاء الله أجر الإشارة به عليها والاستنباط هذا

وأن مما وقف بنا علية بعد استخارة الله زائد الاختيار وسبرنا غوره من سديد النظر بمسبار وما تعاضدت شواهد الشرع على اعتباره وإباحة إجتناء ثماره وأنه من القلادة التي طوقتنا دلائل الكتاب والسنة طوقها وأسالت أرواح الإذن الإلهي من سماء التمكين على أكناف ودقها.

وأوجبت عليكم خصوصا وعلى الناس عموما تلبية مناديها وإنهاء التعريف بالقبول لها إلى شريف نادينا وذلك هذه الملاح المعدنية التي تضرب إليها أكباد الإبل وتشد بسببها لبلاد تغازى على الدوام الإقتاب والرحال وتعمل المطى إليها الوخد والإرقال وتشق البيد نحوها بأحمال الثقال قد انطوى على مصلحة لهذا الجيش الإسلامي والأسطول الجهادي الذي جعل المولى سبحانه بأيدينا زمامه وصرف بفضله إلى إحياء دينه ضعنه ومقامه وشرق من أجله طاغية التثليث بريقه وضاق متسع الفضاء فرقا به وبحزبه وفريقه لا يصلح في قانون الشرع أن تقابل بالإهمال ولا يبرى من عهدته إلا البدار إليها والإعمال لما فيها من الإعانة لهذه الجيوش الإسلامية والعساكر المظفرة بالله الهاشمية الإمامية وتقوية هذه العصابة النبوية التي بها يقع الدفاع عن الملة ويحمى حماها بسيوفها المستلة وصرفها في إقامة أسطول الجهاد وفيه اعتدناه للرباط في ذات الله من الصافنات الجياد مع ما فيها للأمة المحمدية من المنفعة التي إن ضيعناها توقعنا في ما ولانا الله من أمرها تقصيرا وزجرا بارتكابها وانتهاز الفرصة فيها من عظيم فضله أجرا كبيرا وذلك بأن وظفنا زنة مثقال تبرا على كل حمل من الجمال التي تغشى هذه الملاح للحمل على طول المدى وألزمناهم ذلك ما أعقب غدا بحيث لا يوسق رحل إلا بعد إعطائه ونقده ومن تاب فليتيقين بصده عن حملها وورده.

وها نحن قد أنفذنا إليكم بما لأئمة المذهب في هذه المسألة على الخصوص وما لعلماء السنة فيها من الحجج والنصوص والبراهين المحكمة كالبنيان المرصوص لتعلموا أن الإمام فيها النظر والاجتهاد وصرفها فيما يراه من وجود السداد وبخاصة في إقامة فريضة الجهاد وتستشعروا مالكم في امتثال ذلك من السعادة التي تجدونها ذخرا والفلاح الذي تفوزون بليله إن شاء الله دنيا وأخرى وعرفناكم بهذا لتكونوا أول من ثنى إليه أعناق الرجال وأول من أحرى الاستماع إليه والامتثال ومن شممتم منه رائحة الانحراف عن هذا الأمر العلى والازورار فقوموا اعوجاجه بثقاف الإلجاء إليه والاضطرار فانتم أحق الناس والحمد لله بحشر الناس لهذا الباب وما يذكر إلا أولي الألباب، انتهى[1].

ثم اعلم ان أخاكم الذي قد نزل بنا واستجار بحرمنا الكريم النبوي وأم إلى هذا الجناب العلي العلوي قد وصل إلى حضرتنا المراكشية وأناخ منها على أبوابنا الشريفة وعتباتنا السامية المنيفة وكتب لمقامنا العلي من هناك لأول وصوله ومناخه ونزوله وها كتابه يصلكم طي هذا المكتوب الكريم لتتأمله وتقف على ما قصده من جنابنا العلي وأمله.

وها نحن أمهلناه في الجواب وعاملناه بما نعامل به كل من يرد على مقامنا العلي من القبول والبر والترحاب حتى نرى إن شاء الله ما يبدوا منكم ويصل في أمره عنكم وبهذا وجب الكتب إليكم والله يرشدكم بمنه والسلام[2].

المصدر: حواس الغربي: مرجع سابق، ص ص:120-121.

البيبليوغرافيا

قائمة البيليوغرافيا

1- الوثائق الأرشيفية:

-Courcel à Jules Ferry, 18 Novembre 1884, D.D.F, Doc N^{e} : 372, p : 453.
-Thomassy Paul et Mauny raymand : Compagne de Fouilles à Koumbi salah, bulletin de l'institut française d'Afrique Noire, AXIII 195, N°2, P 438 – 468.
- Archive National (BNF): *Lettre du Ministre des Affaires étrangers au Ministre du commerce,* le 26 Juillet 1845, Paris, F/128972.
- Hertslet, Sir Edward: The Map of Africa by Treaty:
-Vol.1, Doc, No:17, London 23 Feb1885.
- Vol.2, Doc. N^{os}: 124 /128/197/198, (London 1896).
- Vol.2, Second Edition, N^{os}.103 to 208, (London 1896).

2- المصـادر المكتوبة:

- أبو عبيد الله البكري: **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك،** المطبعة الحكومية، الجزائر، 1857.
- ابن خلدون، عبد الرحمان: **تاريخ ابن خلدون** ، الجزء السادس، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، 1981.
- ابن بطوطة(أبو عبد الله محمد بن عبد الله): **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، دار إحياء العلوم ، بيروت، 1964.
- السيدة سالمة بنت السيد سعيد بن سلطان: **مذكرات أميرة عربية**، ط.9، ترجمة عبد المجيد القيسي، مطبعة وزارة التراث والثقافة، مسقط، 2006.
- السعدي عبد الرحمان**: تاريخ السودان**، منشورات هوداس وبنوا، ميزونوف، باريس ،1964.
- المسعودي (أبو الحسن علي ابن الحسين): **مروج الـذهب ومعـــادن الجـوهر**، دار الرخـاء، القـاهرة، 1938.
- المغيري(سعيد): **جـهينة الأخبـار في تـاريخ زنجبار**، تحقيق وطبع وزارة التـراث القـومي والثقـافة، عُـمان، 2001.
- فودي بن محمد بلو: **إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور**، دار مطابع الشعب ، القاهرة، 1964.
- كعت محمود**: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس**، تحقيق هوداس ودولافوس، ميزونوف، باريس، 1984.

3-المراجع العربية:

-ابراهيم طرخان: **مملكة البرنو الإسلامية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط.1، 1975.
-أحمد محمد كاني: **الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا**، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987.
- بدين محمد أمين**: الفلانة والفلانيون في السودان الأصل والتاريخ**، القاهرة، د.ت.
- باركيندو.ب: **كانم-برنو: علاقتها بالبحر الأبيض المتوسط وبجيرمي وسائر دول حوض التشاد،** تاريخ إفريقيا العام، الجزء(5)، مطبعة حسيب دورغام وأولاده، لبنان، 1998، ص: 556.
- حسن أحمد محمود: **الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا**، القاهرة، دار الفكر العربي، 1986

- حركات إبراهيم: **طبيعة العلاقات المغربية مع إفريقيا الغربية في العصر الوسيط**، ضمن كتاب- العلاقات بين المغرب وإفريقيا الغربية، الرباط، منشورات جمعية موظفي كلية الآداب بالرباط، 1992.
- حسن إبراهيم حسن: **انتشـــــار الإسلام والعروبة فيمـــا يلي الصحراء الكبـــرى**، معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة، 1957.
- دفي، جيمس: **البرتغال في إفريقيا**، ترجمة جاد طه، القاهرة،1961.
- درويش، مديحة أحمد: **سلطنة عمان خلال القرنين الثامن عش والتاسع عشر**، دار الشروق، الرياض، 1982.
-دايارا. د: **الجغرافيا التاريخية: المظاهر الطبيعية**، تاريخ إفريقيا العام، الجزء(4)، مطبعة حسيب دورغام وأولاده، لبنان، 1998.
- ديرك لانجي: ممالك التشاد وشعوبها، تاريخ إفريقيا العام، الجزء(4)، مطبعة حسيب دورغام وأولاده، لبنان، 1998.
-دنيس بولم: **الحضارات الإفريقية**، ترجمة علي شاهين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1974
- عائشة، علي السيار: **دولة اليعاربة في عٌمان وشرق إفريقيا في الفترة من 1624-1741**، دار القدس للنشر، بيروت، 1973.
- صلاح الدين المنجد: **مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين**، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1982.
- سيد احمد العراقي وغيثان بن علي جريس : **تاريخ الأقليات الإسلامية في العالم-إفريقيا**، ط.1، الجزء الأول ، أبها، 1997.
- سعيد رشدي: **الإطار الزمني للمراحل المطرية والجمودية بإفريقيا**، تاريخ إفريقيا العام، الجزء(4)، مطبعة حسيب دورغام وأولاده، لبنان، 1998.
-فانسينا جان: **إفريقيا الاستوائية وأنغولا الهجرات وظهور الدول الأولى**، تاريخ إفريقيا العام، الجزء(4)، مطبعة حسيب دورغام وأولاده، لبنان، 1998.
- فالح، حنظل: **العرب والبرتغال في التاريخ**، منشورات المجمع الثقافي، الإمارات العربية، 1997.
- الفاسي محمد وإيفان هربك: **مراحل تطور الإسلام وانتشاره**، تاريخ إفريقيا العام، الجزء(3)، مطبعة حسيب دورغام وأولاده، لبنان، 1998.
-ماكيفيدي كولين: **أطلس التاريخ الإفريقي، ترجمـة مختار السويفي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987.
- مديحة أحمد درويش: **سلطنة عمان خلال القرنين الثامن عش والتاسع عشر**، دار الشروق، الرياض، 1982،
- المعمري، أحمد حمود: **عٌمان وشرق إفريقيا**، ترجمة أمين عبد الله، مطابع سجل العرب، 1980.
-نياني جبريل: **مالي والتوسع الثاني للماندينغ**، تاريخ إفريقيا العام، الجزء(4)، مطبعة حسيب دورغام وأولاده، لبنان، 1998.
-نعيم قداح: **حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الجزائر، 1974.
- لاست. م: **دولة الخلافة في سوكوتو وبلاد البورنو**، المصدر، تاريخ إفريقيا العام، الجزء(6)، مطبعة حسيب دورغام وأولاده، لبنان، 1998.
- زبادية عبد القادر: **مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين(1493-1594)**، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971.

4-المراجع الأجنبية:

- Alpers, Edward: Ivory and Staves in East-Central Africa: Changing Patterns of International Trade to the Later Nineteenth Century, Heinemann, London, 1975.

-Cooper, Frederick: Plantation slavery on the East coast of Africa, Yale University Press, New Haven, 1977.

- Coupland, Reginald: East Africa and its Invaders, Oxford university press, London, 1968.

-Coupland, Reginald: The Exploitation of East Africa 1856-1890 The slave trade and the scramble, Faber and Faber Limited, London, 1939.

- Coupland, Reginald: The British Anti-Slavery movement, Clarendon Press, Oxford, 1933.
-Ehret, C : Ethiopians and Africans: the problem of contacts, EAPH, Nairobi, 1974.
-Brenner, L : The Shehus of Kukawa, Clarendon Press, Oxford, 1973.

-Brooks, G.E : The Kru Mariner in the Nineteenth Century, Newark? Delaware: University of Delaware 1972.

-Bennett, N.R: The Arab impact, in Ogot , B.A. Zamani (eds): A survey of East African History, E.A.P.H. Nairobi, 1974.

-Delafosse, M : Traditions historiques et légendaires du Soudan occidental, traduites d'un manuscrit arabe inédit), AFRCD, 1913.
-Garlake, P.S : Great Zimbabwe, Thames and Hudson, London , 1973.

- Gray, J.M: History of Zanzibar from the Middle Ages to 1856, Oxford University Press, London, 1962.

-Hodgkin, T :Nigerian perspectives-An historical anthology, 2e ed, OUP, London, 1975.
-Hollingsworth, L.H: The Asians of East Africa, London,1960.
- Iliffe, John: A Modern History of Tanganyika, Cambridge University Press, Cambridge, 1979.

- Justus, Strandes: The Portuguese in East Africa, EALB, Nairobi, 1968.
-James, R.B (eds): Dar es salaam, Histories from an emerging African metropolis, Mkuki na Nyota Publishers, Dar es salaam, 2007.

- Kritzeck James and W. H. Lewis(eds): Islam in Africa (Van Nostrand-Reinhold, Princeton, New Jersey, 1969.
-Last, M : The Sokoto Caliphate, Longman, London, 1967.

- Monteil, C : les Empires du Mail : étude d'histoire et de sociologie soudanise, BCEH-SAOF, Maisonneuve et Larose, Paris, 1929.
-Marsh, Zoe(eds): East Africa Through Contemporary Records, Cambridge University Press, London, 1961.

-Moses, Nwulia: Britain and Slavery in East Africa, Three continents Press, Washington, 1975.
- Nicholls, C.S: The Swahili Coast: Politics diplomacy and trade on the East African Littoral, 1798 1859, Allen & Unwin, London, 1971.

- Mangeot et paul Marty : Les Touareg de la boucle du Niger, Emile larose, librairie éditeur, paris ,1919.
- Moffett, J.P: Handbook of Tanganyika, Government Printer, Dar Es Salam, 1958.

- Nachtigal, G :Sahara und sudan: Ergebnisse sechsjahriger Reisen in Afrika, vols 1 et 2, Weidmann, Berlin ,1967.

- Oliver, Roland: The East Africa interior, Cambridge University press, Cambridge, 1977.
-Renault, F et Daget, S : La traite des esclaves en Afrique, Caire, 1980.

-Robineau, C : L'Islam aux Comores, une étude d'histoire culturelle de l'ile d'Anjouan, dans : P. Vérin (dir. publ).
-Randles, W.G.L : L'Ancien Royaume du Congo, des origines a la fin du XIX^{e} siècle, civilisations et sociétés, Paris, 1968.

- Roscoe John: The Baganda an Account of their native customs and beliefs, Macmillan and Co, London, 1911.
-Trimingham, s : The influence of Islam upon Africa, Longmans, London, 1980.
-Trimingham .J.S : Islam in the Sudan, OUP, Londres, 1949.

-Trimingham .J.S : Islam in Ethiopia, OUP, Londres, 1952.
-Trimingham .J.S : A history of Islam in West Africa, OUP, Londres,1962 p:215.
- Whiteley, H: Swahili: The national language of Tanzania, in Erik, Svendsen and Teisen, M: self-reliant Tanzania, Tanzania Publishing House, Tanzania, 1969.
- Zoe, Marsh (eds): East Africa Through Contemporary Records, Cambridge University Press, London, 1961.

- المجـــلات والدوريات:

أ-العربيــة:

- أحمد، بوشرب: **أسباب ومراحل اكتشاف البرتغاليين للسواحل الإفريقية خلال القرن 15**، مجلة المؤرخ العربي، العدد 31، بغداد 1987.
-البدوي السعيد إبراهيم: «**تطور الخريطة السياسية الإفريقية**» مجلة الدراسات الإفريقية، مجلة محكمة يصدرها سنويا معهد البحوث والدراسات الإفريقية-جامعة القاهرة، 2005- العدد 27، ص:61.
- بوسلام أنس: **إمبراطورية غانا :دراسة في التاريخ السياسي وبنية الحكم والتنظيمات**، مجلة مدارات تاريخية، دورية دولية محكمة ر بع سنوية، المجلد الأول – العدد الرابع – ديسمبر2019 .
-عودة عبد الملك: **الحزب الواحد والتطبيق الاشتراكي في تنزانيا**، مجلة السياسة الدولية، العدد الثامن، 1967.
- التركي، عبد الله بن إبراهيم: **قيام نظام الإمامة في عمان (1913-1920)**، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 46، 1430هـ.

ب- الأجنبيــة:

- Allen, James de Vere: Swahili culture and identity, seminar paper, University of Nairobi, 1976.
-ALI, MAZRUI: AFRICAN ISLAM AND COMPETITIVE RELIGION BETWEEN REVIVAL CAN AND EXPANSION, THIRD WORLD QUAINTLY, VOL.10, NO:2, 1988.

-Sutton, J.E.G : Towards a less orthodox history of Hausaland, JAH, N$^{e.}$2, (pp:179-201), 1979.
-Nicolas, G: Fondements magico-religieux du pouvoir au sein de la principauté hausa du Gobir, JSA, N^{e} :39, 2,(pp199-231). 1969

-Greenberg, J.H : Linguistic evidence for the influence of the kanuri on the Hausa, JAH, N^{e}1, 2(pp.205-212), 1960.

-Nicolas, Guy: Fondements magico-religieux du pouvoir au sein de la principauté hausa du Gobir, Journal de la Société des Africanistes, 1969, tome 39, fascicule 2, p :202. pp.199-231.
[1]-Collis, Robert : Nigeria in conflit, Secker & Warburg, London, 1970
-Heurtebize, G et Vérin, P: Premiére découverte sur l'ancienne culture de l'intérieur de l'Androy(Madagascar): archéologie de la vallée du Lambomaty sur la haute Manambovo, Journal de la Société des Africanistes, 1974,

-Samson Fabienne: Une Tidjaniyya Plurielle, Enjeux Locaux Et Internationaux. Du Sénégal Au Maroc, Dirassat Ifriquiaa, Revue semestrielle du laboratoire etudes Africaines, Universite Alger2, Volume 3, Numéro 6, 2018.

-Lange, D : Progrès de l'Islam et changement politique au Kanem du XIe au XIIIe siècle : un essai d'interprétation, JAH,1978 .

7-الرسائل وأطروحات الدكتوراه:

- سليماني يوسف: **التنظيم السياسي والسوسيو-اقتصادي للمالك الحديثة بشرق إفريقيا. مملكة بوغندا أنموذجا 1856-1884.** أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر2 أبوالقاسم سعد الله، 2020-2021.

-الحواس غربي: السيادة **السعدية بالبلاد السودانية 1591-1660 دراسة سياسية عسكرية**، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، 2008-2009.

فهرس الموضوعـات

مقدمة	4
المحور الأول: المجال الجغرافي والبشري لإفريقيا جنوب الصحراء وأقسامها	7
1- الجغرافيا التاريخية لإفريقيا جنوب الصحراء	7
أ- السودان الغربي	10
ب- السودان الأوسط	10
ج- بلاد الزنج	10
2- المجال البشري وأقسامه	11
أ-دولة زمبابوي الكبرى	16
ب-مملكة الكونغو	17
ج- مملكة بوغندا	18
- المحور الثـاني: انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء	21
1- السودان الغربي والأوسط	22
أ- الطريقة القادرية	26
ب-الطريقة التيجانية	27
2-السودان النيلي والقرن الإفريقي	29
3-الساحل الشرقي لإفريقيا	32
-المحور الثالث: ممالك السودان الغربي(غانة، التكرور، سنغاي، مالي)	39
1 – مملكة غانا	39
2- مملكة التكرور	43
3- مملكة سنغاي	44
4- إمبراطورية مالي	48
-المحور الرابع: ممالك السودان الأوسط(كانم-بورنو، ممالك الهوسا)	53
1 - مملكة الكانم بورنو	53

2- ممالك الهوسا	45
-المحور الخامس ممالك السودان الشرقي(سلطنة زنجبار الإسلامية)	**61**
1- الاحتلال البرتغالي لسواحل شرق إفريقيا	63
2- التدخل العماني وتحرير الساحل	67
3- السياسة العمانية وتطورها	73
أ- على المستوى السياسي	74
ب- على المستوى الاقتصادي والاجتماعي	79
4- تأسيس سلطنة زنجبار الإسلامية	86
5- زنجبار والتجارة الدولية	88
6- التغلغل الأوروبي وإلغاء تجارة الرقيق في شرق إفريقيا	92
-خاتمة	**97**
-الملاحق	**98**
-قائمة الببليوغرافيا	**110**
-فهرس الموضوعات	**116**

❖